

# كانت

« ملامح عن حياته وأعماله الفكرية »

الموسوعة الصغيرة

١٧٦

تأليف

د. عماد عبد السلام رؤوف

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد  
في 12 / ربيع الأول / 1444 هـ  
2022 / 10 / 08 م

سرمد حاتم شكر السامرائي

سَرْمَدٌ حَاتِمٌ شُكْرٌ

# الموسوعة الصغيرة

تصدرها

دائرة الشؤون الثقافية والنشر

بغداد / الجمهورية العراقية

سكرتير التحرير

ماجد أسد

رئيس التحرير

موسى كريدي



وزارة الثقافة والإعلام



دار الشؤون الثقافية العامة

الموسوعة الصغيرة  
( ١٧٦ )

١٩٨٦

كانت

١٨٠٤ - ١٧٢٤

ملاح

من حياته وأعماله الفكرية

« شيئان يملآني عجا ، السماء المرصعة بالنجوم فوق  
رأسي والقانون الخلقي في نفسي »

عمانوئيل كانت  
في كتابه : نقد العقل العلمي

### سيرته الشخصية

ولد عمانوئيل كانت في ٢٢ نيسان سنة ١٧٢٤م  
بمدينة كونكسبرك Königsberg الواقعة على  
الحدود الشمالية الشرقية لآلانيا ، من أبوين فقيرين :  
اذ كان أبوه سراجا بسيطا ، بينما كانت أمه من أسرة  
متواضعة ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان أباه كان  
ينحدر من أسرة اسكتلندية هاجرت الى بروسيا قبل  
مولد عمانوئيل بقرن واحد تقريبا ، وهذا في رأيهم هو  
السبب في الميل الشديد الذي أظهره كانت منذ البداية  
نحو فلاسفة الانكليز (١) .

---

١ - د. زكريا ابراهيم : « كانت » او الفلسفة النقدية  
( القاهرة دون تاريخ ) ص ٣٤ .

عاش كانت في اسرة بسيطة شريفة ، لم ينعم فيها  
برغد العيش ورفاهيته ، ولكنه لم يذق يوما طعم الجوع  
والحرمان ، ولم ينشأ حاقدا ناقما على ابناء الطبقة  
البرجوازية • بل نشأ على تقديس العمل وتقديس  
الفضائل التي ينجح بفضلها العمل ، من شرف وصدق  
وامانة واخلاص (٢) •

واشتهر عن عمانوئيل انه كان يحب امه حبا جما ،  
وليس ادل على ذلك من قوله الى تلميذه ، وصديقه ياخمان  
الذي كان مديرا لمعهد التربية في كونكسبرك : « انا لا  
أنسى ماحييت ، انها غرست اولى بذور الخير في نفسي »  
والحق انه لم يتعلم في اسرته المتواضعة العاملة اصول  
الاخلاق والدين وحسب ، بل تفتحت عيناه فيها على  
حب الطبيعة والمعرفة ، اذ كثيرا ما كانت امه ( واسمها  
آنا رجينا روتر ) تصحبه في نزهة حول المدينة وتلفت

---

٢ - كانت : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ( ترجمة د .

نازلي اسماعيل ) ( القاهرة ١٩٦٨ ) ص ٨ ( المقدمة )

The Encyclopedia Britannica Vol 13. p265

نظره الى جمال الطبيعة ونظامها في السماء والارض،  
كما كانت تحاول ان تفسر له ظواهرها بقدر ما اوتيت  
من العلم والمعرفة<sup>(٣)</sup> .

لقد حرصت والدته كانت على تزويد ابنها بالثقافة  
الدينية ، اذ كانت هي على مذهب التقوى الذي شاع  
يومذاك في اجزاء من المانيا ، فالحقته وهو في الثامنة من  
عمره بالمدرسة الاولى التابعة لمستشفى القديس جورج  
عام ١٧٣٠م ، حيث تتلمذ على يد مدرستها الوحيد  
وصديق الاسرة في الوقت نفسه « شولتز » Schultz  
ثم انتقل بعد ذلك في صيف عام ١٧٣٢م الى كلية الملك  
فردريك ، فأقن فيها الاداب اللاتينية وثقافتها ، ووجد  
فيها ما يرضي ميوله في دراسة القدماء والتعرف على  
علومهم وفنونهم . ولكنه لم يجد في نظم هذه المدرسة  
ما يرضي ذهنيته المتفتحة ، وعقليته الحرة ، بل انه رأى  
فيها صورة متزمتة للحياة الدينية ، فكان اليوم المدرسي

يبدأ ويختم بصلاة كنسية طويلة ، اضافة الى صلوات قصيرة بين الدروس ، فضلا عن ساعتين للعبادة اسبوعيا . ولقد وجد كانت في هذه المراسيم الكثير مما يدعو الى كراهية الدين والنفور منه ، ولم يجد فيها ما يدفع الى الاقبال عليه والتمسك به (٤) .

ولم يلبث كانت ان التحق بكلية الفلسفة التابعة لجامعة كونكسبرك ، حيث تتلمذ على يد كنوتسن Knutzen ، احد اتباع وولف Wolff الفيلسوف الالماني الشهير ، فأستطاع ان يلم بمذهب لينتزر ، واطهر في تلك الفترة براعة خاصة في الدراسة اللاتينية، مكنته فيما بعد من التعبير الدقيق عن مختلف الاراء والافكار المعقدة التي جاءت نتيجة لعملية هضم العديد من النظريات ، العلمية منها او اللاهوتية و الميتافيزيقية ( ماوراء الطبيعة ) .

والظاهر ان كانت ترك الجامعة سنة ١٧٤٧م لاضطراره الى كسب العيش بعد وفاة والده في نفس

---

٤ - كانت : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ص ٩ ( المقدمة )

السنة ، فعمل مدرسا ومربيا خاصا لابناء بعض الاسر النبيلة التي كانت تعيش في شرق بروسيا . وفي سنة ١٧٥٤ عاد الى وطنه كونكسبرك حيث تمكن ان يقدم الى الجامعة رسالته اللاتينية للحصول على درجة « الدكتوراه » وكان موضوعها « في النار » ، وهي في فلسفة الطبيعة ، ولم يعرف عن كانت قبل هذا العمل ، عمل فلسفي آخر سوى بحث صغير تحت عنوان « اراء حول التقدير الصحيح للقوى الحية »<sup>(٥)</sup> . وهو بحث يظهر فيه تأثيره بنظرية نيوتن في الجاذبية<sup>(٦)</sup> .

عين كانت مدرسا للرياضيات ، وللطبيعة ، ولل فلسفة في خريف عام ١٧٥٥ م ، وشغل وظيفة محاضر خارجي بالجامعة ، واستطاع بفضل المامه ، وتدريسه ، لمادة الجغرافية الطبيعية ان ينشر بحثا هاما في نفس السنة عنوانه « تاريخ الطبيعة العام ونظرية السماء :

---

٥ - The Encyclopedia Britannica Vol 13. p265

٦ - كانت او الفلسفة النقدية ص ٣٥ .

دراسة للنظام والاصل الميكانيكي للكون ، وفقا لمبادئ  
نيوتن «<sup>(٧)</sup> .

كان كانت حتى هذه المرحلة مهتما بالمسائل  
العلمية ، ولم يكن قد كون بعد اسس فلسفته النقدية  
المشهورة ، اذ كان في آرائه متأثرا بنزعة وولف العقلية،  
وفي سنة ١٧٦٦م تهيأ لدراسة علم المعادن عن طريق  
تعيينه امينا للمكتبة الملكية ، ثم ما لبث ان عرضت عليه  
جامعة ارلنكن Erlagen وظيفة استاذ الفلسفة النظرية  
ثم إن جامعة يينا Iena

عرضت عليه نفس الامر ، الا ان جواب كانت كان  
الرفض ! • وذاعت شهرة كانت في ارجاء المانيا كلها ،  
واصبح معقد امل بعض رجال الدولة الذين كانوا  
يرومون اصلاح سياسة التعليم في البلاد • ولما حاول

---

٧ - ديوارنت : قصة الفلسفة من سقراط الى جون  
ديوي ص ٦٤٤ ، ( ترجمة فتح الله محمد بيروت  
١٩٧٢ ) وكانت او الفلسفة النقدية ص ٣٨ و  
The Encyclopedia Britannica Vol 13. p266

وزير التعليم كارل زدليتز K.Zedlitz ان يقنع  
كانت بتوليّه مهمة هذا الاصلاح ، وذلك عن طريق  
تدريسه في جامعة هالة ، اعتذر الاخير واثّر البقاء في  
مدينته<sup>(٨)</sup> .

وفي سنة ١٧٧٠ وافق الملك فردريك الثاني على  
تعيينه استاذاً للمنطق والميتافيزيقا ( ما وراء الطبيعة ) في  
جامعة كونكسبرك ، فبدأت بذلك اهم مرحلة من مراحل  
تطوره الفكري ، اذ تحرر كانت من تأثير وولف العقلي ،  
كما استطاع الموازنة بينه وبين نزعة هيوم الارتيازية ،  
وخرج اخيراً بفلسفة عميقة جديدة اطلق عليها اسم  
« الفلسفة النقدية » .

ويمكن القول ان تبشير هذه الفلسفة بدأت في  
الظهور منذ ان نشر كانت رسالته اللاتينية التقليدية التي  
تقدم بها الى الجامعة سنة ١٧٧٠م لشغل منصب استاذ  
المنطق وما وراء الطبيعة ، وعنوانها « صور ومبادئ

العالم المحسوس والعالم المعقول » فأراؤها تشبه من حيث الاساس افكار كتابه العظيم « نقد العقل المجرد »<sup>(٩)</sup> الذي نشره بعد ١١ عاما ، على ان المدة التي انحصرت بين تاريخي تأليف الكتاين لم تكن الا فترة تأمل ودراسة عميقتين ، لم ينشر كانت خلالها الا مقالين صغيرين ، احدهما عن « الفوارق بين السلالات » والاخر « حول معهد دوسو الخيري »<sup>(١٠)</sup> .

امتاز كانت بوضوح محاضراته في الميتافيزيقا ، وخصب آرائه عنها ، فكان يبدأ محاضراته فيها اولا بتعريف التصورات الميتافيزيقية ثم يتناول الموضوع بصورة منهجية دقيقة ، اما محاضراته في اللاهوت ، فقد كانت تهدف الى اثارة العقول في المسائل الدينية ، واثارة الشعور الخلقي الباطن فيها دون اضعاف اية اهمية

---

٩ - ديوارنت : قصة الفلسفة ص ٤٤٤ وكانت : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ص ١٣ .

١٠ - في آخر كتاب د. زكريا ابراهيم : كانت او الفلسفة النقدية ثبت في جميع آثار كانت .

خاصة للطقوس التقليدية ، الا ان محاضراته اللاهوتية لم تلق من الاهتمام ما لاقته محاضراته الميتافيزيقية حتى انه فكر احيانا بالامتناع عن القائها .

ولقد عاش كانت نادرا نفسه للتنقيب عن الحقيقة ، لكنه لم يكن ، مع ذلك ، منعزلا عن الناس والمجتمع ، حقيقة انه لم يتزوج ، انما كان يجب ان يعيش بين الناس ، وان يتردد عليه اصدقاؤه وان يتردد هو عليهم .

اما ما قيل عن كونه جافيا لاخيه حيث لم يكن يرأسه ، فمبالغ فيه ، لانشغال كانت التام ببحوثه ليس الا ، ولانه ما ان توفي هذا الاخ حتى قام بكل ما تتطلبه الاخوة من مساعدة ، اضافة الى انه كان ينفق على اخته ماري الزا بعد وفاة زوجها ، ثم على اولادها بعد وفاتها هي ، وكان هذا فعلة مع سائر اقاربه (١١) .

وفي عام ١٨٠٣م اصدر كانت آخر كتاب له وهو « في التربية » ، وكان حينذاك في التاسعة والسبعين

---

١١ - كانت : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ص ١٥ .

من عمره ، وكانت حالته العقلية والصحية في تدهور مستمر ، اذ فقد بصره تماما ، وكاد ان يفقد ذاكرته ، حتى توفي وهو في الثمانين من عمره ، وذلك في ١٢ شباط عام ١٨٠٤م وكانت آخر كلمة تفوه بها : « هذا حسن » •

وقد اعتبرت وفاته حداذا شعيبا ، فدفن تحت الاعمدة الخارجية لكاتدرائية كونكسبرك ونقشت على شاهد قبره عبارة وردت في كتابه « نقد العقل العلمي » وهي « شيثان يملاني عجبا ، السماء المرصعة بالنجوم فوق رأسي ، والقانون الخلقي في نفسي » •

## آراؤه في ما وراء الطبيعة « الميتافيزياء »

كان اهتمام كانت بالميتافيزيقا اهتماما عجيبا من اكثر من ناحية ، لانه حاول جاهدا ان يقيمها على اساس منطقي علمي مقنع ، بالرغم من ايمانه بأن مجرد كونها « وراء الطبيعة » يعني استحالة اخضاعها للمقاييس الطبيعية المألوفة في سائر العلوم « الفيزياء والرياضة » وهذا بالذات ما دعا البعض الى القول بأن كانت نفسه لم يكن كانتيا(\*) اي ان فلسفته تقود الى ما رفض هو الاعتراف به مسبقا .

اراد كانت من وراء كتبه في هذا الضرب من الفلسفة ، وعلى رأسها « نقد العقل المجرد » اقامة

---

\* كانت او الفلسفة النقدية ص ٢٣٠ - ٢٣١ والموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٤٤٦ فما بعد .

الفلسفة الميتافيزيقية على اسس علمية مقبولة ، ولهذا  
فأنه اراد ان يمهد السبيل الى ميتافيزيقا تقوم في المستقبل  
خالية من اوزار الماضي واخطائه . انه لم يرد بكتابه  
«نقد العقل المجرد» ان يقدم تفكيراً ميتافيزيقيا ايجابيا ، بل  
انه اراد ان يتخذ منه اداة تعينه على كشف الطريق  
السوي للبحث الميتافيزي المنتج ، لذلك فقد نشر آراءه  
هذه في عدد من الرسائل والمقالات والكتب ، منها  
« حول فشل كل محاولة فلسفية في مضمار الربوبية »  
( سنة ١٧٩١ ) و « مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن ان  
تصير علما ( سنة ١٧٨٣ ) و « احلام راء مفسرة على ضوء  
احلام الميتافيزيقا » ( سنة ١٧٦٦ ) و « محاولة من اجل  
ادخال مفهوم الكميات ( او المقادير ) السالبة في  
الفلسفة » ( سنة ١٧٦٤ ) .

بدأ كانت عمله هذا ، بوعده قطعه على نفسه ، وهو  
ان يترك الموضوعات الميتافيزيقية ( وهي عنده الله ،  
والحرية ، والخلود ) جانبا ، حتى يفرغ من تحليله لبناء  
العلم الرياضي وبناء العلم الطبيعي ، ليعود بعدئذ الى

البحث الميتافيزيقي فيقيمه على نفس الاسس التي رآها في ذينك العلمين . لكنه فرغ من نقده للرياضة وعلم الطبيعة ، ثم لم يتم ما كان قد وعد به من تشييد بناء الميتافيزيقا على غرارهما ، منتهيا الى انه وجد النقد هو بذاته الميتافيزيقا التي ارادها ، وبعبارة اخرى فإنه انتهى الى ان تحليل القضايا العلمية في الرياضة والطبيعة هو كل ما يرجوه الفيلسوف لنفسه ، ولاشيء غير ذلك ، فأن كان للميتافيزيقا معنى ، فهو تحليل القضايا العلمية<sup>(١)</sup> .

حاول كانت دائما الاجابة على السؤال التالي « كيف تكون الميتافيزيقا ممكنة بوصفها علما » ؟ وكان جوابه في فصل عقده بهذا الاسم من كتابه المهم « مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن ان تصير علما »<sup>(٢)</sup> يتلخص بأن الميتافيزيقا « كأستعداد طبيعي للعقل تكون

---

١ - كانت : نقد العقل المجرد ص ٣٥ ود. زكي نجيب محمود : خرافة الميتافيزيقا ص ٤٨ .

٢ - هو اهم فصول الكتاب ، حتى اعتبره كانت « حلا للمسألة العامة في المقدمة » .

واقعية»<sup>(٣)</sup> ، ويعني بهذا انها ممكنة اذا اريد بها تحليل القضايا العلمية تحليلا ينتهي الى تحديد ابعادها ، وابرار الفروض التي تستند اليها تلك القضايا «اما بالنظر اليها في ذاتها فقط فانها تكون جدلية ومموهة » وهكذا جعل كانت الميتافيزيقا مستحيلة على العقل التأملي النظري ، اذا اريد بها البحث فيما فوق التجربة البشرية، وكلماً زاد المرء اقتراباً من آراء كانت ادرك انه ينتهي تدريجياً الى اعتبار الميتافيزيقا مجرد تحليل للقضايا العلمية ، اي انه يمنحها معنى سلبياً ، مجرداً إياها من فعاليتها الايجابية السابقة ، منكرأ بأن البحث فيها بذاتها يمكن ان يؤدي الى جديد ذي بال • نعم انه اعتبر الحديث في الموضوعات الميتافيزيقية الثلاثة ، وهي الله والحرية والخلود امراً ممكناً ، لكن «امكانه» لا يمكن الا عن طريق الضرورة الخلقية ، ذلك لان العقل النظري لا يمكنه

---

٣ - كانت ، عمانوئيل : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ص ٢٠٩ ( من الترجمة العربية ) .

مجاوزه حدوده بغير ان « يطوح بنفسه في الظلام  
والمتناقضات »<sup>(٤)</sup> .

ولكي يثبت كانت عجز هذا العقل التأملي النظري  
عن البحث الميتافيزيقي ، حاول ان ينقد هذا العقل  
نفسه ، وان ينقد ما يخترنه من معرفة ، وهكذا اظهر  
كانت للوجود فلسفته النقدية المشهورة . وحين يتحدث  
كانت عن النقد فإنه لا يعني به - بطبيعة الحال - نقد  
الكتب والمذاهب ، بل نقد ملكة العقل بصفة عامة .  
خصوصا فيما يتعلق بتلك المعارف التي يحاول الوصول  
اليها دون الاستعانة بالتجربة ، ومن هنا فإن الموضوع  
الرئيس الذي يدور حوله النقد الكانتي ، انما هو  
الفصل في مشكلة امكان قيام الميتافيزيقا ، او استحالة  
قيامها بصفة تامة ، مع الاهتمام بتحديد اصل هذا  
العلم ، ومداه ، وحدوده على اسس عقلانية واضحة .

---

٤ - كانت : نقد العقل المجرد ص ٣٧ ترجمة احمد  
الشيباني ، بيروت .

ولاشك في ان السبب الذي حدا بكانت الى هذه  
العناية بالمشكلة الميتافيزيقية هو ما لاحظته في عصره من  
قيام قيام الكثيرين من الفلاسفة ، الانطولوجيين ،  
والغائيين والدغماتيين ، وغيرهم ، من اقامة القواعد  
الميتافيزيقية على مبادئ تأملية محضة غير قابلة للنقد  
الحق ، كما كان الفلاسفة العقليون التوكيديون  
يستخدمون المنهج الاستنباطي لاقامة علم الوجود من  
حيث وجود ، وكأن في وسع العقل ان ينتقل بسهولة  
من « الممكن » الى « الموجود » او من « فكرة الله »  
الى « تقرير وجود الله » كما فعل فولف مثلاً<sup>(٥)</sup> .

---

٥ - كانت او الفلسفة النقدية ص ١٤ ونقد العقل المجرد،  
الصفحات ٣٤ - ٤٤

## آراؤه في الدين

في الواقع ، يصعب فصل آراء كانت في الطبيعة، وما وراء الطبيعة ، والاخلاق ، عن آرائه في الدين ، واللاهوت ، وذلك لعمق فلسفته ، وتوغلها في البحث عن جواهر الاشياء الحقيقية ، دون كبير التفات الى مظاهرها الخارجية ، التي قد تبدو على شكل سياسة ، او دين ، او اخلاق .. الخ .

نعم ، لا يمكن انكار ما دعا اليه كانت من التقليل من شأن رجال الدين ، وعدم اهتمامه الواضح بأداء فروض العبادة والتردد الى الكنائس ، فتلك امور شهد بها اصدقاؤه جميعا<sup>(١)</sup> ، ولكن كانت - بالرغم من ذلك - يسعى الى اقامة دين الهي حقيقي ، لا يستند الى

---

١ - كانت او الفلسفة النقدية ص ٢٤١ .

افكار رجال الدين التقليدية ، ولا الى التواريخ الكنسية المعهودة وانما يعتمد على النوازع الخلقية السامية الكامنة في اعماق الانسان ، والتي ترفعه ان التزامها الى مصاف الملائكة .

حاول كانت اول الامر ، جاهدا ، اقامة اسس منطقية معقولة تثبت وجود الله بصورة لا تقبل الشك ، ولما شاهد بعينه ان الاسس التي كان سابقوه من الفلاسفة الميتافيزيقيين تتهاوى عند نقده لها ، صمم على ترك المجال الميتافيزيقي المحض الذي هو بطبيعته خارج نطاق العقل البشري ، وحاول اقامته على قوانين عقلية حقيقية مستمدة من الاخلاق .

وكان اول بحث ظهر لكانت في هذا الموضوع ، رسالة مهمة اصدرها سنة ١٧٦٣م بعنوان الدعامة الوحيدة الممكنة للبرهنة على وجود الله « حاول فيها ان يهدم بعض المعتقدات التي كان فولف قد اقامها في ميدان اللاهوت الغائي او الطبيعي<sup>(٢)</sup> ، فكانت هذه

الرسالة بمثابة اعلان لتخلص كانت الفكري بفلسفة فولف ( وهي المرحلة الاولى من تطوره الروحي ) وبدأ يتجه اتجاهها ارتيايا متأثرا بدافيد هيوم ، الفيلسوف الانكليزي الشهير .

وقد طور كانت آراءه هذه وبلورها في فصول خاصة عقدها في كتابه العظيم « نقد العقل المجرد » ( الصادر سنة ١٧٨١ ) حيث اكد على استحالة البرهان الانطولوجي ( الميتافيزيقي المحض ) على وجود الله معتبرا ان فكرة وجود الله هي كمال لا يمكن بلوغه ، وانها « فكرة محضة لم تبرهن الواقعة القائلة بأن العقل يتطلبها بتاتا على حقيقتها الواقعة الموضوعية »<sup>(٣)</sup> كما انه رفض في الفصول التالية جميع البراهين التي كان الفلاسفة قد تواضعوا عليها ، كالبراهين التأملية<sup>(٤)</sup> ، والغائية<sup>(٥)</sup> ، والاستشرافية<sup>(٦)</sup> ولذلك فقد انتهى كانت

---

٣ - كانت : نقد العقل المجرد ص ٦٥٢

٤ - المرجع السابق ص ٦٤٤ - ٦٥١

٥ - المرجع السابق ٦٨٠ - ٦٩٠

٦ - المرجع السابق ص ٦٧٤ - ٦٧٩

الى ان « الكائن الاسمى يبقى ، لاريب ، بالنسبة للاستعمال التألمي المحض للعقل ، مثالا اعلى فقط ، ولكنه مثال اعلى بدون عيب » ، ويبقى معنى عاما ينجز ويتوج كامل المعرفة البشرية . ورغم انه لا يمكن البرهنة على حقيقته الواقعية الموضوعية ، فإنه لا يمكن رفضه بهذه الطريقة (٧) .

وفي سنة ١٧٩٣م اصدر كانت كتابه الخطير الذي اسماه « الدين ضمن حدود العقل المجرد » فكان بحق « اجراً كتاب وضعه واشد جميع مؤلفاته جسارة » (٨) فقد نقد فيه عقلية رجال الدين صراحة ، ورأى في طقوسهم المعقدة ، وبعض تصرفاتهم ما لا يتفق مع القوانين الخلقية ، وبين ان ارتكاز الدين يجب ان يكون على « العقل العملي للحس الاخلاقي » لاستحالة ارتكازه على منطق العقل النظري ( الميتافيزيقي المحض ) ، فأذا ما اشتكى المرء من ذلك الجهل النظري الذي شاءت

---

٧ - المرجع السابق ص ٧٠١

٨ - ديوارنت ، ويل قصة الفلسفة ص ٧٦

الحكمة الالهية ان تتركنا فيه ، كان رد كانت على ذلك  
ان الله قد شاء ان يدع لنا مهمة التعرف على حقيقة  
وجوده وحقيقة خلودنا ، بفعل الارادة الاخلاقية التي  
تنزع نحو السعادة • ولو كانت لدينا معرفة يقينية بالله  
وبالخلود ، لكانت هذه المعرفة نفسها  
قوة جبرية هائلة تضغط على إرادتنا ،  
فهو بذلك منحنا من الارادة ما نستطيع معه ان نتوصل  
الى الايمان » (٩) •

وهكذا مزج كانت بين مبادئ الثلاثة ، الخلود ،  
والحرية ، والله على النحو التالي :

(١) ان الانسان لا يستطيع ان يؤدي واجبه الا اذا كان  
حرا •

(٢) ان الانسان لا يستطيع ان يحقق القداسة الا اذا  
كان خالدا •

(٣) ان الانسان لا يستطيع ان يرقى الى مستوى الخير  
الاعظم ، الا اذا كان الله موجودا •

ان هذه الافتراضات ليست نظرية ، بل هي عملية  
ضرورية ، في عرف الفلسفة الكاتية<sup>(١٠)</sup> . والواقع ان  
كانت لم يقف عند هذا الحد في بنائه الجديد للديانة ، بل  
صرح برأيه في ان الدين ليس عقيدة نظرية ، بل هو فعل  
خلقي باطني ، او عبادة روحية خالصة ، ومن هنا فأننا  
نراه يضع الشعور الاخلاقي في منزلة ارفع من العقائد  
والطقوس الشكلية او العبادات الخارجية . وهو يقول  
في هذا بصريح العبارة « ان كل ما قد يتوهم الانسان  
انه يستطيع عن طريقه ان يكسب رضا الله - فيما عدا  
اتخاذ مسلك اخلاقي طيب في حياته ، انما هو محض  
هذيان ديني ، او هو مجرد عبادة زائفة لله » . لقد  
انتقد كانت اصحاب الديانات في اخذهم للكتب الدينية  
بحذافيرها ، واهتمامهم الخاص بضروب العبادة  
الخارجية ، ودراسة احداث الدين التاريخية ، في حين ان  
المهم في رايه هو فهم الروح الباطنية للدين وتفسير الكتب  
الدينية تفسيراً رمزياً ، وتجريد الدين من الاعتبارات

الخارجية والتاريخية ، وهذا هو معنى قوله : « انه لا ينبغي البحث عن الدين خارجا عنا ، بل في داخلنا » (١١) .

لهذا فقد حاول كانت تفسير الاحداث الدينية التاريخية على نحو رمزي جديد ، فنراه يفسر الخطيئة الاصلية ( او سقطه آدم ) على انها تعبير عن التعارض الاصيلي القائم بين الارادة والحساسية ، او بين مملكة الحرية ومملكة الطبيعة ، ونراه يفسر فكرة « المسيح » او « ابن الله » على انها مجرد تعبير عن المثل الاخلاقي الباطن فينا . . الخ ، وحين يتحدث كانت عن الكنيسة اللامرئية فإنه يعني بها تلك « الجمهورية الاخلاقية » او ذلك « المجتمع المثالي » الذي يكون قانون الواجب منه بمثابة الدستور ، ويكون الله نفسه هو المشرع الحقيقي . ويؤكد كانت انه لن يكون ثمة موضع لرموز تاريخية تفرق الناس شيئا واحزابا في مثل هذا المجتمع المثالي الذي يقوم على ثبات القانون الاخلاقي ، وما

دام الرئيس الوحيد الذي يخضع له افراد هذا المجتمع  
انما هو ذلك الاب الامرئي الذي يدينون له بالطاعة  
باعتباره المثل الاعلى للاخلاق ، فأن الايمان العقلي  
سيكون حتما هو الرابطة الوحيدة التي توحد شملهم •  
وكانت هنا ينعى على المسيحيين نسيانهم للرسالة التي  
جاء المسيح من اجلها ، وهي تحقيق ملكوت السموات  
على الارض « فها انا نرى ملكوت الكاهن قد اقيم  
بيننا بدلا من ملكوت الله » (١٢) زد على ذلك ان  
« المذهب » و « الطقس » قد حلا محل الحياة الصالحة ،  
وبدلا من ان يكون الناس مرتبطين برباط الدين ، نراهم  
اليوم منقسمين الى الف ملة ونحلة • ولم يصدق كانت  
بالمعجزات معتبرا اياها غير قادرة على البرهنة على الدين ،  
وذلك لانه ليس بمقدورنا ان نعتمد على الشهادة التي  
تدعمها ، كما ان الصلاة - في رأيه - غير مجدية اذا  
كانت تستهدف ايقاف العمل بالقوانين الطبيعية • واخيرا  
يلعب الدين ما يشبه الانحراف عندما تصبح الكنيسة اداة

في يد حكومة رجعية ، وعندما يصبح رجالها ادوات للظلمة اللاهوتية والطغيان السياسي<sup>(١٣)</sup> .

وفي الواقع انه على الرغم من وفاة فردريك الكبير سنة ١٧٨٦م ومجيء فردريك غليوم الثاني للحكم ، الذي كان اكثر تعصبا ، وعلى الرغم من قوة آراء كانت وجرأتها ، فإن احدا لم يتعرض له بأي اذى او ازعاج ، وذلك لانه كان طاعنا في السن من ناحية ولانه ، كما قال احد المستشارين الملكيين : حفنة من الناس هم الذين يقرأون كتبه ، ولا يفهمونه . ولكن ما ان الف كانت كتابه الديني المذكور الذي اسماه « الدين في حدود العقل المجرد » حتى وجدت فيه السلطات آنذاك ما لا يمكن السكوت عنه ، فمنعت نشره ، الا ان كانت قام بخطوة جريئة لم تكن لتتلاءم مع سنه ، فقد ارسل كتابه الى « بينا » ( الخارجية عن سلطة بروسيا ) حيث نشر هناك ، فما كان من الملك البروسي الا ان يرسل اليه امرا

وزاريا ، يطلب فيه « تقديم الحساب فوراً » والوعد بعدم « صدور أي اساءة كهذه » مع تهديد ضمني لشخصه ، ورغم ان كانت اقر مبدئيا في العمل الحر ، الا انه وعد بالمحافظة على الصمت طيلة عهد الملك المذكور، وفعلا توقف عن اصدار الاجزاء التالية من كتابه ذلك (\*) .

---

\* ديورانت : قصة الفلسفة ص ٧٩

## آراءه في الاخلاق

انكر كانت ربط الاخلاق بنتائج الافعال ، من لذات والم ومنافع ومضار ، وجعل قيمة الافعال قائمة في باطنها وليس في الغايات التي تقوم خارجها ، ومن اجل هذا كان مذهبه نظرية في الواجب لا في الخير ، الذي يصيب صاحبه او غيره من الناس •

وهكذا يتوصل كانت الى الخيرية صفة الارادة الباطنية وحدها فلا شيء غير الارادة يمكن ان يكون خيرا بالذات ، والارادة الخيرة لاتحركها رغبات ، او غايات ، ولا عواطف ، ولا شهوات ، لان الافعال التي تصدر عن هذه البواعث تكون قيمتها مشروطة مرهونة بتحقيق هذه الغايات ، واشباع تلك الميول ، واذا اختفت هذه الميول انعدمت قيمة الافعال • ومن ثم اراد كانت

ان يحرر السلوك الاخلاقي من قيود هذه الميول والاهواء حتى تكون قيمته باطنية مطلقة ، وبهذا تستبعد اللذة والمنفعة والسعادة غاية قصوى لافعال الانسان الارادية ، فالباعث على فعل الواجب لايقوم قط في الرغبة في تحقيق غاية ، ان الباعث يقوم في الارادة نفسها ، ويجب ان يكون « سوريا » بحتا ، اي مجرد قانون صوري لا يستفتي الواقع ولا يستمد من التجربة ، ومن ثم كان عاما مطلقا ، ويتيسر للانسان ان يجعل قاعدة تصرفه قانونا في كل زمان ومكان<sup>(١)</sup> .

يقول كانت « ان المعنى العام للخير والشر يجب ان لايجري تعيينه قبل القانون الاخلاقي ( الذي يبدو كما لو انه يجب ان يكون اساسا لذلك المعنى العام ) بل يجب ان يعين فقط بعد القانون الاخلاقي وبواسطته »<sup>(٢)</sup> .

---

١ - الدكتور توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ص ٢٢٥ ( القاهرة ١٩٦٧ )

٢ - كانت ، عمانوئيل : نقد العقل العلمي ص ١١٤ ( ترجمة احمد الشيباني . بيروت ١٩٦٦ )

ترى لماذا اراد كانت للاخلاق صفة الاطلاق ،  
واعتبرها من قبيل الاشياء الباطنية الدائمة ، غير النسبية ،  
معتبرا كل الرغبات والغايات والعواطف .. الخ مجرد  
ظواهر لامسيبات ؟ اي لماذا اراد كانت للاخلاق هذا  
الضرب شبه الميتافيزيقي ؟

يجبنا كانت نفسه على هذا السؤال في مقدمة  
كتابه « اسس ميتافيزيكا الاخلاق » بقوله « ان كل  
انسان لابد ان يسلم بأن قانونا يراد له ان يكون قانونا  
اخلاقيا ، اعني قاعدة التزام ، لابد أن يحمل طابع  
الضرورة المطلقة ، وأن الوصية التي تقول : عليك الا  
تكذب ، لا يمكن ان يكون صلاحها مقصورا على بني  
الانسان وحدهم بحيث لا يكون لغيرهم من الكائنات  
الحية بها الشأن ، وهكذا الامر مع كل القوانين الاخلاقية  
الآخري . فضلا عن هذا ، فأف قاعدة الالتزام هنا  
لا ينبغي ان تلتبس في طبيعة الانسان ولا في ظروف العالم  
الذي وضع فيه ، بل لابد من البحث عنها بطريقة قبلية  
في تصورات العقل المجرد ( من التجربة ) وحدها . ان

كل التعاليم الاخلاقية الاخرى التي تقوم على مبادئ التجربة البحتة وحتى تلك التي تعد بوجه من الوجود تعاليم عامة ، حيثما ارتكزت على قاعدة تجريبية ، ولو في اقل اجزائها ، الذي قد يكون احد الدوافع التي دفعت اليها ، نقول ان هذه التعاليم قد نستطيع ان نسميها قاعدة للسلوك العملي ، ولكننا لن نستطيع بحال من الاحوال ان نطلق عليها اسم القانون الاخلاقي (\*) .

وهكذا تمتاز القوانين الخلقية عن سواها ، مما يشتمل على اي عنصر تجريبي لا من حيث الجوهر فحسب ، فكل فلسفة اخلاقية تستند استنادا تاما على الجزء الخالص ( اي المجرد من أي تجربة ) منها ، وعند تطبيقها على الانسان فأنها لا تستعير اقل نصيب من المعرفة به ( اي من الاثروبولوجيا ) بل تعطيه بوصفه كائنا عاقلا قوانين قبلية ، تتطلب بالطبع من خلال التجربة ، ملكة حكم حادة ، لكي يمكن من ناحية تمييز الحالات

---

\* كانت ، عمانوئيل : اسس ميتافيزيقا الاخلاق ص ٩  
( ترجمة محمد فتحي الشنيطي . القاهرة ١٩٦٥ )

التي استطاع تطبيقها عليها ، ولكي يتيسر من ناحية اخرى ان تجد سبيلها الى ارادة الانسان ، وان تؤثر الاثر المؤدي الى ممارستها ذلك ان الانسان هو الكائن الذي ينفعل بالكثير من النزعات ، ويقوي حقا على ادراك فكر عملي مجرد ( من التجارب والمعرفة البشرية ) ولكنه لا يستطيع ان يجعلها تؤثر على مجريات حياته تأثيرا فعالاً<sup>(٣)</sup> .

وعلى هذا رفض كانت ان يبني الاخلاق على اساس احكام البشر النسبية المادية ، لان هذه الاحكام غير ثابتة ، ولا مطلقة ( وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان ) وانما تبني الاخلاق على اساس ثابتة مطلقة باطنية ( ترى الاشياء في ذاتها ، اي على حقيقتها ) . ولهذا يذهب كانت يذهب كانت الى ان مبدأ الشخص يكون اخلاقيا اذا تمشى مع القانون الاخلاقي ، والقانون الذي يستخلصه من تحليل الخبرة الاخلاقية صوري ( مجرد عن التجربة ) ، بحث<sup>(٤)</sup> فكأنه يريد ان يقول ،

---

٣ - كانت : اساس ميتافيزيقا الاخلاق ص ٩

٤ - الموسوعة الفلسفية ص ٢٥٣

ان القانون الخلقي موجود قبلها ، اي قبل اي فعالية يقوم بها الانسان ، وان ما يراه الانسان خيرا او شرا مسببا لهذا القانون ، بل هما ظواهر له لا غير ، وعليه ناقش كانت « الخير » على انه ظاهرة للقانون المذكور لاسبب له ، فقال « ان القانون الاخلاقي هو المبدأ المعين الوحيد للارادة المجردة ، ولكن نظرا لان هذا القانون هو قانون ( صوري ) شكلي محض ( واعني بشكلي ، انه يصف او يحدد فقط شكل السنة الادبية شكلا يعيا بصورة شاملة ) ، لذلك فانه بوصفه مبدأ معيناً ، متجرداً من كل مادة ، اي انه متجرد من كل موضوع للارادة ، ولذلك ، وبالرغم من ان الخير الاعلى قد يكون كامل موضوع العقل العلمي المجرد وهدفه ، اي الارادة ، غير انه مع ذلك يجب علينا ، لهذا السبب ان لا نعتبره مبدأ معيناً له ، ويجب ان نعتبر القانون الاخلاقي وحده ، مبدأ يرتكز عليه تحقيق الخير الاعلى وترقيته وترويجه » (٥) .

---

٥ - كانت : نقد العقل العملي ص ١٩١

ان الفعل - في رأي كانت - يكون صالحا ،  
لابسبب ان نتائجه تكون سالحة او بسبب انه فعل  
حكيم ، بل انما يكون كذلك لانه صادر عن اطاعة هذا  
الحس الباطني بالواجب ، انه هذا القانون الاخلاقي  
الذي يصدر عن خبرتنا الشخصية ولكنه يشرع لنا  
بصورة استبدادية كل سلوكنا من ماض وحاضر ومقبل ،  
وان الشيء الوحيد الصالح بهذا القانون العام هو  
الارادة الصالحة ، ارادة اتباع القانون الاخلاقي بغض  
النظر عن المكاسب او الخسائر التي تنجم عنه ، بالنسبة  
لنا ، فعلا تهتم بسعادتك ، بل لتقم بواجبك ♦

لنطلب السعادة في الاخرين ، ولكن لنطلب لانفسنا  
الكمال ، وسيان عاد علينا هذا بالسعادة او الالم ،  
صحيح ان العالم غير كامل ، ولكن لنعش على مستوى  
كهذا ، علينا ان نطبق القانون الكامل في الدولة غير  
الكاملة ، وصحيح ايضا انها لاخلقية قاسية شاقة ، نعم  
انه لصعب عليك وضع الواجب فوق الجمال ، والاخلقية  
فوق السعادة ، ولكن فقط تمشيا وهذه الاخلقية يكون

بمقدرونا الا نبقي وحوشا، وان نبداً بأن نكون كآلهة(\*) .

ويتوصل كانت ، بأستاده الى هذه الفكرة العميقة ، الى ان هذا الامر المطلق بالواجب يبرهن اخيرا على حرية ارادتنا ، وذلك لانه كيف كان بإمكاننا ابدا ان ندرك مفهوما كهذا بوصفه واجبا ، لو لم نشعر بأننا احرار ، وهكذا يقدم كانت لنا مفهوما جديدا للحرية ، تلك المشكلة العويصة التي حار الفلاسفة في بحثها ، فهو يقرر اولا انه لاسبيل الى البحث عن الحرية في نطاق الظواهر ، فهل يكون معنى هذا ان تتخلى عن بحثها بحثا ميتافيزيقيا؟ يحاول كانت ان يحل الموضوع بالرجوع الى تفرقة المشهورة بين الظواهر الخاضعة للزمان والمكان وبين الحقائق التي هي خارجة على الزمان والمكان . وعلى ذلك فأن افعالنا الخارجية ليست سوى رموز او مظاهر تعبر عن خلقنا الباطن ، اي عن « ذاتنا الحقيقية » ونحن اذن خاضعون لقوانين الضرورة في جانبنا الذي يخضع للزمان والمكان ويتحقق في عالم

---

\* ديوارنت : قصة الفلسفة ص ٤٧٢

التجربة ، ولذلك فأن افعالنا مرتبطة ارتباطا ضروريا بما تقدمها اي من البواعث والدوافع السابقة لها ، فهل يكون معنى هذا اننا لسنا احرارا على الاطلاق ؟ يجب كانت: في وسعنا ان نقرر ، اننا احرار في طابعا الخلقي ، حسنا كان ام رديئا ، ونحن الذين نخلق بأنفسنا هذا الطابع الخلقي بفعل حر يتجاوز الزمان ، مطلقا ، لا علاقة له بالظواهر الحسية النسبية ، بل انه يتعلل بذاتنا الحقيقية، تلك الذات المعقولة اللامرئية •

وعندما يصل التسلسل المنطقي الى حد التساؤل عن كيفية معرفة وجود تلك الحرية في ذاتنا المعقولة ، يهيب كانت بالاخلاق ، لان الاخلاق هي التي تستطيع ان تحل هذا الامر • والواقع ان لدينا جميعا شعورا بالواجب، والواجب هو القانون الذي يحدد ما ينبغي ان يكون • وهكذا نرى كانت قد حول الاقطار الى مجال جديد ، فلم نعد بصدد وجهة منطقية او تجريبية ، بل نحن هنا في مجال اخلاقي قوامه فكرة الواجب (\*) •

---

\* الدكتور زكريا ابراهيم : مشكلة الحرية ، ص ٢٢

٣٤ و ٣٥

## آراؤه في الطبيعة « الفيزياء »

على الرغم من اهتمام كانت البالغ في الامور  
الميتافيزيقية ( ما وراء الطبيعة ) فإنه كان مهتما الى درجة  
كبيرة ايضا ، بأبحاثه الطبيعية ( الفيزيائية ) المسماة  
بفلسفة الطبيعة وقد اشتهر في اطار هذا الحقل بعدة  
تأليف مهمة .

ففي سنة ١٧٤٦م تقدم كانت ببحثه الجامعي  
الصغير « آراء حول التقدير الصحيح للقوى الحية »  
وهو بحث تأثر فيه بنظرية نيوتن في الجاذبية ، كما تتجلى  
فيه رغبته في التوفيق بين اتباع مذهب ديكارت ، واتباع  
مذهب لايبنتز ، وذلك حول مسألة قياس « القوة  
المحركة » .

واما رسالة كانت الموسومة « التاريخ الشامل للطبيعة ونظرية السماء » فقد اظهرت بداية استقلال صاحبها بآرائه عن آراء نيوتن ، اذ نقد فيه رأي نيوتن القائل : بأن تركيب النظام الحالي للمجموعة الشمسية لا يمكن ان ينسر الا عن طريق القوانين الالية السائدة في الطبيعة ، وقد وضع كانت بدل هذا الرأي فرضية تقول بأن النظام الحالي للأجرام السماوية قد يكون في البدء بفعل دوران سديم اصلي • وهذه الفرضية تشبه الى حد كبير فرضية العالم الفرنسي لابلاس ، حتى لقد سميت النظرية السديمية في الأجرام السماوية بنظرية « كانت - لابلاس » في تفسير اصل الكون(\*) •

ويرى البعض ان لابلاس قد تقدم بنظريته هذه بناء على اقتراح طرحه كانت سنة ١٧٥٥ يقول بأن النظام الشمسي وجد في الاصل كسديم كبير ذي نقطة مركزية شكلت بدورها قطاعا سديمية جديدة نشأت عنها الكواكب ، ومع ان هذه النظرية عدلت كثيرا من حيث

---

\* كانت : نقد العقل المجرد ص ٢٠

تفاصيلها ، وبالرغم من انه قد اضيفت اليها « فرضية  
كوكبية » مقابلة تبدو في ظاهرها اقرب شيها لما نستطيع  
ملاحظته في مختلف القطع السديمية الحلزونية في  
السماء، فإن علماء الفلك قبلوها بصورة عامة<sup>(١)</sup> .

وفوق هذا ، فإن كانت حاول ان يضع تفسيراً  
ميكانيكياً لكل حركة وتطور كوكبين، فجميع الكواكب،  
كما اعتقد كانت ، كانت او ستكون آهلة بالسكان، كما  
ويقول بأنه ربما توجد في ابعد الكواكب عن الشمس  
أنظمة عضوية عاقلة أرقى من أي نظام عضوي أبدعه  
كوكبنا حتى الان ، وذلك لان مدة نمو تلك الكواكب  
اطول .

ولعل من اقوى ما ذهب اليه كانت من اراء طبيعية،  
نظريته في النشوء والارتقاء ، فقد اوحى في محاضراته  
التي نسقت عام ١٧٩٨م بأمكانية الاصل الحيواني

---

١ - راندال : تكوين العقل الحديث ( ترجمة جورج  
طعمة . بيروت ١٩٥٥ ) ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٥

للإنسان ، وبأن الإنسان يتغير جثمانيا بحسب ظروفه الطبيعية المختلفة<sup>(٢)</sup> .

وبالإضافة الى ذلك ، فقد قام كانت بنشر عدة بحوث أخرى في شتى المواضيع الفيزيائية ، منها كتابه « في اسباب الزلازل او اهتزازات الارض » سنة ١٧٥٦م ، وبحثه « تاريخ ووصف لزلال سنة ١٧٥٥ » الصادر سنة ١٧٥٦ ايضا ، وبحثه المعنون « ملاحظات جديدة حول تفسير نظرية الرياح » المنشور في نفس السنة المذكورة . كما انه نشر سنة ١٧٦٤م مقالة « في امراض الرأس » ، ونشر سنة ١٧٧٥م بحثه « في الفوارق بين السلالات البشرية » ، و « حول براكين القمر » سنة ١٧٨٥ وفي هذه السنة ذاتها نشر بحثه الموسوم « تعريف مفهوم السلالة البشرية » ، ثم نشر سنة ١٧٩٤ بحثا بعنوان « تأثير القمر على الجو » وفي سنة ١٨٠٢م نشر كتابه « الجغرافية الطبيعية »<sup>(٣)</sup> .

---

٢ - ديورانت : قصة الفلسفة ص ٤٤٦

٣ - قائمة مؤلفات كانت ومقالاته في كتاب « كانت او الفلسفة النقدية » ص ٣٤٣ - ٣٤٥

## آراءه السياسية

لم تمل طبيعة « كانت » النفسية والاجتماعية الى  
اثارة حفيظة الاوساط الحاكمة في بروسيا آنذاك ضده،  
ذلك انه اراد لنفسه حياة اعتيادية هادئة بعيدة عن  
المشاكل ، ولم يؤثر عنه انه اثار ضده السلطة الا حين  
نشر كتابا خارج بروسيا ، ولكن اعتذاره السريع سوى  
المسألة .

ومن الطبيعي ، ان يتجنب كانت كل مايتعلق  
بالدولة ، واجهزتها السياسية ، حتى اننا نكاد نجهل  
آراءه السياسية لولا انه نشر في اواخر ايامه ، واثناء  
الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٥م كتابا مهما اسماه « مشروع  
للسلام الدائم » ، ولهذا الكتاب عدة جوانب ، فهو يمثل  
اولا امنية كانت في شكل الحكومة ، ويمثل ثانية رغبته

في تحديد شكل جديد للنظام السياسي العالمي ، هذا اضافة الى ما ضمنه من آراء مهمة في فلسفة التاريخ • وسنقتصر في هذا الفصل على تبيان آرائه السياسية • ترى أي نظام سياسي كان يتمناه كانت لوطنه بروسيا ؟

يقول كانت : « يجب ان يكون دستور المدينة في كل دولة دستورا جمهوريا ، ان الدستور الوحيد المستمد من فكرة العقد الاصلي التي يجب ان يقوم عليها كل تشريع قانوني لشعب من الشعوب هو الدستور الجمهوري ، وذلك لانه قائم على :

١ - مبدأ الحرية الذي يعتنقه اعضاء جماعة ما ( من حيث هم افراد ) •

٢ - مبادئ تبعية الجميع لتشريع واحد مشترك •

٣ - « المساواة » بين هؤلاء المخاطبين ( باعتبارهم مواطنين ) واذن فهذا الدستور في ذاته ، هو الاصل الذي تبنى عليه جميع انواع الدساتير في المدينة •

واذا ما لاحظنا طبيعة النظام الاستبدادي البروسي  
الذين عاش في ظله كانت ، ادركنا مدى جرأة هذه  
الآراء الجديدة ، فهو يرى في الملكية ( وخاصة المستبدة )  
اساس كل الاخطاء ، وكل الجمود الذي يصيب الامم ،  
بل انه يعتبره من مسببات الحروب الرئيسية ، كما انه  
اظهر رغبته الصادقة في ان تتواجد دساتير لا تقيم  
لامتيازات الطبقات أدنى قيمة ، بل تعامل الجميع على  
اساس المساواة المطلقة .

ويعترف كانت في موضع آخر من « مشروعه »  
بصعوبة تحقيق مثل هذا الدستور الذي يتمناه ، فيقول  
« والدستور الجمهوري ، وهو وحده المطابق لحقوق  
الانسان ، اصعب الدساتير قياما ، وهو على الخصوص  
اقلها استتبابا ، ولذلك ذهب كثيرون الى ان قيام مثل  
هذا الدستور يقتضي شعبا من الملائكة ، وان الناس بما  
طبعوا عليه من ميول الاثرة والانانية عاجزون عن بلوغ  
مثل هذا النظام الرفيع » فما هي دعامة قيام مثل هذا  
النظام في رأيه ؟

هنا ينتقل كانت الى فكرة القومية ، الى الارادة العامة الكامنة في الشعب الواحد فيقول « ولكن الطبيعة تسخر هذه الميول ( الاثرة والانانية ) نفسها لتكون في عون الارادة العامة - التي تقوم على العقل - ولكنها على الرغم مما لها من احترام وتقدير تظل في قصور من حيث العمل والتطبيق ، ومن اجل ذلك يكفي لتنظيم الدولة تنظيما حسنا ( وهو امر في مقدور الناس قطعا ) ان تتآلف القوى البشرية تآلفا يجعل بعضها يحد من الاثار البغضية لبعضها الاخر ، او يقضي عليها قضاء مبرما » (١) .

كره كانت استبداد حكام الدولة البروسية العسكرية ، ورأى ان هذا الاستبداد سيقود الامة حتما الى الحرب ، وان الوسيلة الوحيدة لمنعها ، والقيام بدلها بأصلاحات متتابعة هي التشريعات والاقطمة الديمقراطية « وتبلغ الجرأة بكانت ( وهو الرجل الهادىء

---

١ - كانت : مشروع للسلام الدائم

النظامي ) بأن يصرح بأستحالة تحقيق هذه التشريعات واللازمة الا عن طريق الثورة واذا تذكرنا بأن كانت اصدر كتابه « مشروع للسلام الدائم » سنة ١٧٩٥ اي بعد نشوب الثورة الفرنسية ، أدركنا مدى اهمية هذه الثورة في نظره بأعتبار انها ستكون البادرة الاولى لتحرير اوربا من انظمتها الاستبدادية العتيقة ، واستبدالها بأنظمة جمهورية وبقيام نظام دولي يرتكز الى الديموقراطية ، نظام لا مكان فيه للعبودية والاستغلال ، ومكرس بكل طاقاته وجهوده للسلام (٢) .

يخلص كانت بعد عدة تنبوءات الى حتمية الديمقراطية فيقول : « نستطيع اذن ان نقرر انه كلما قل عدد الاشخاص المتولين للسلطة السياسية ( عدد الحكام ) ، وكلما عظم تمثيلهم اقترب النظام السياسي من النظام الجمهوري ، واصبح هناك امل في ان يسمو اليه اخيرا بأصلاحات متتابعة، فلهذا السبب كان الوصول

الى ذلك النظام التشريعي وهو وحده التشريع الكامل  
( يعني الجمهوري ) اصعب في الارستقراطية منه في  
الملكية اما في الديموقراطية فلا سبيل الى بلوغه الا  
بثورة طاغية «(\*)» .

وهكذا نرى « كانت » وهو في وسط الجهالة  
والرجعية ، وعلى الرغم من اتحاد اغلب دول اوربا الملكية  
لسحق الثورة ، وبالرغم من سنيه الواحدة والسبعين ،  
يقف بجلاء ووضوح الى جانب النظام الجديد ، وينادي  
بأقامة الديموقراطية وتدعيم الحرية في كل مكان .

---

\* كانت ، عمانوئيل : مشروع للسلام الدائم ص ٤٨

## آراءه في القومية

لماذا اعتبر كانت النظام الديموقراطي التمثيلي امرا  
جوهريا في التوصل الى خير المجتمع والى منع الحروب  
واقرار السلم ؟ اي لماذا ربط كانت بين النظام السياسي  
للدولة وبين قضية السلام الدولي ؟

في الواقع ، انه لا يمكننا الاجابة على ذلك الا على  
اساس القومية - الارادة العامة - التي آمن بها  
فيلسوفنا واعتبرها المثل الحقيقي عن ارادة الطبيعة  
ذاتها ، وبأن كل الخير يكمن في افساح المجال لهذه  
الارادة بالظهور ، فيتحقق على يديها سلام البشرية  
جمعاء .

ان القومية هي الارادة العامة التي تجمع بين  
الشعب ، وهي تكمن في ذوات افراد الشعب نفسه ،

فأن مثل جميع الشعب في هيئة ما ، تمثلت في تلك الهيئة روح القومية ، بشكل الارادة العامة ، واذا كان التشريع مستمدا من هذه الارادة كان ذلك ضمانا اكيدا على صحته « وهو وحده التشريع الكامل » واذا ما اجتمعت لدى كل امة قوانينها المستمدة من روحها ( ارادتها العامة ) عن طريق تمثيل الشعب كله ، توصلنا الى ايجاد قوانين صحيحة كاملة ، وما دامت الصحة هي القاسم الاعظم الذي يجمع بين تلك القوانين على اختلافها ، فان تلك القوانين ( الارادات ) ستلتقي التقاء طبيعيا يؤدي حتما الى اشاعة السلام ونبذ الحروب .

وهكذا ربط كانت بفلسفته بين النظام الجمهوري ، والفكرة القومية ، والسلام العالمي برباط واحد وثيق ، فالدستور الجمهوري « فضلا عن صفاء مصدره ، من حيث انه مستمد من المنبع الخاص الذي تتبع منه فكرة الحق ، يمتاز بأنه يرينا في الافق البعيد النتيجة التي ترنو اليها أبصارنا ، اعني السلام الدائم » (\*) .

---

\* كانت ، عمانوئيل : مشروع للسلام الدائم ص {

ان الحق - في رأي كانت - لا يمكن التوصل  
اليه عن طريق العقل التجريبي ، او العملي ( اي عن  
طريق المعرفة المتأتية عن طريق التجربة المادية ) بل عن  
طريق روح الجماعة اي الروح القومية ، ويوسع كانت  
هذا المفهوم بفضل عقده بأسم « مبدأ الجماعة » يقول  
فيه : « ان جميع الجواهر ، من حيث انها موجودة ،  
تكون في جماعة كاملة ، اي في حال من معاوضة ( وهي  
التبادلية في المنافع ) الواحد منها للآخر » (\*) .

لقد كان لآراء كانت هذه في القومية أثر كبير على  
الحركة القومية الالمانية في القرن التاسع عشر ، فلقد  
اعتنتها الكثير من فلاسفة المانيا ، وطوروها فيما بعد ،  
امثال هرذر ، وهيكل ، ونيثشة .. وغيرهم . وما لبثت  
هذه الآراء ان صار لها دوي سياسي عظيم غير وجه  
المانيا ، بل التاريخ الاوربي بأسره . وكان ذلك البداية  
الايدولوجية لعهد القوميات في العالم .

---

\* كانت ، عمانوئيل : نقد العقل المجرد ص ٢٥٩

## آراؤه في السلام العالمي

رأينا كيف جعل كانت النظام الديموقراطي التمثيلي اداة للتعبير عن روح القومية التي هي الحق بعينه ، ومن الطبيعي ان يحاول اقامة مشروع عالمي للسلام الدائم يقوم على اساس هذا الحق نفسه ، لذلك فقد جاء كتابه « مشروع للسلام الدائم ( او الابدی ) » نتيجة منطقية لهذه الفكرة .

على اننا اذا رجعنا الى اقوال كانت « قبل المشروع » وجدناه قد صرح مرارا عديدة عما للحرب من اثر حضاري في التاريخ ، من ذلك قوله في كتابه « نقد ملكة الحكم » ( سنة ١٧٩٠م ) « ان للحرب ، باعتبارها قوة

---

\* كانت ، عمانوئيل : مشروع للسلام الدائم ص ٩ و ١٠

هائلة من قوى الطبيعة جمالا وروعة ، في حين ان سلما  
طويلة الامد قد تولد، مع روح التكسب والتجارة نوعا من  
الانانية العامة الغليظة » ♦

ومع انه يعلن في كتابه « فروض عن بداءة تاريخ  
الانسانية » ( سنة ١٧٨٦م ) ان « اكبر شر يصيب  
الشعوب المتمدنة ناشىء عن الحرب ، لا بمعنى الحرب  
الحاضرة او الماضية ، بل بمعنى دوام الاستعداد للحرب  
القادمة » ، فقد سلم مع ذلك بأن الخوف من الحرب قد  
يكون في طور بسيط من اطوار المدنية ، من امتن  
الضمانات لصون الحرية ودفع الاستبداد ، لأن  
المستبدين انفسهم لا يستطيعون ان يستغنوا عن الثروة  
القومية التي لا تنمو الا في ظل السلم والحرية<sup>(١)</sup> ♦

ويبدو للمرء من ملاحظة تواريخ اصدار مؤلفات  
كانت السياسية القليلة ، وعلى رأسها « مشروع للسلام  
الدائم » ان جميعها صدر بعد نجاح الثورة الفرنسية

---

١ - كانت ، عمانوئيل : مشروع للسلام الدائم ص ٢٦

وانقضاء عهد السلطة الاستبدادية وزوال الحكم المطلق،  
مما يبعث على الاعتقاد بأن كانت رأى في نجاح تلك  
الثورة بادرة جيدة لتنظيم الشعوب تنظيما داخليا ، على  
اساس جمهوري ، تمهيدا ضروريا لانشاء جمهورية  
عالمية شاملة •

كتب كانت « مشروعه » لاحلال السلام الدائم  
على شكل مواد محددة ، بسط فيها الشروط الضرورية  
التي تجعل انتهاء الحروب أمرا ممكنا ، والواقع ان تلك  
المواد بالرغم من صيغتها القانونية المجردة ، فأنها تضمنت  
احيانا آراء بعيدة وعميقة الغور في تحليل التاريخ  
الانساني ، فكانت عندما يحاول انتهاء الحروب في  
المستقبل يسعى جاهدا لمعرفة الاسباب الحقيقية الكامنة  
وراء تلك الحروب ، لأنه يعلم بأن لاسبيل الى انتهاء  
مشكلة ما الا عن طريق معرفة مسبباتها • ان اهم ما  
تضمنته تلك الآراء تركيزها على الجانب الاقتصادي في  
اثارة الحرب ، معتبرة الاطماع الاقتصادية ونماء  
الثروات ، والقروض الوطنية المتضخمة ، وغيرها من

المشاكل المالية أسبابا رئيسية في تعبئة الرأي العام للحرب ، ومن ثم القيام بها رغبة في التخلص من المشاكل المالية التي تعاني منها الدولة . وهذا الرأي بعينه اساس المادة الرابعة من مشروعه ، والان لنلقي نظرة فاحصة على مواد هذا المشروع برمتها .

لقد نص المشروع على ست مواد اولية تبين « الشروط السلبية للسلم » وهي :

١ - « ان معاهدة من معاهدات السلام لاتعد معاهدة اذا انطوت نية عاقيدها على أمر من شأنه اثاره حرب من جديد » (\*) ان كانت هنا يحاول ابعاد احتمال نشوب الحروب بأستبعاد النية عليها ، اما هذه « النية » فسيوضحها في المواد التالية .

٢ - « ان أي دولة مستقلة ، صغيرة كانت أو كبيرة ، لايجوز ان تملكها دولة اخرى بطريق الميراث ، او التبادل ، او الشراء ، او الهبة : فليست الدولة

---

\* كانت ، عمانوئيل : مشروع للسلم الدائم ص ٢٤

متاعا ( كرقعة الارض التي اتخذتها وطننا ) وانما هي جماعة انسانية لا يحل لاحد سواها ان يفرض عليها سلطانه ، او يتصرف في شؤونها ، والدولة كجذع شجرة لها اصولها الخاصة ، لذا فان ادماجها في دولة اخرى ، كما لو كانت نباتا يطعم به نبات اخر ، معناه تجريدها من وجودها باعتبارها شخصا معنويا ، وجعل ذلك الشخص شيئا من الاشياء ، ويعد كل هذا نقضا لفكرة التعاقد الاصلي التي لا يمكن بدونها تصور اي حق على شعب ، ولا يجهل احد مقدار ما تعرضت له اوربا من اخطار ، حتى زماننا هذا ، بسبب وهم من هذا الضرب من الحيازة قد شاع عند اهلها .. فسول لهم ذلك الوهم ان الدول نفسها يباح لها ان تتزاوج فيما بينها : وانها لحيلة جديدة تصطنعها الدول لتصل - عن طريق المصاهرة بين العائلات ودون ان تكلف نفسها عناء - الى السيادة على غيرها وتوسيع رقعة ممتلكاتها «<sup>(١)</sup>» .

ان كانت هنا يضرب مصالح الاسر الاقطاعية  
المالكة التي تحكم اوربا في عهده ، ضربة مسددة في  
الصميم ، فطالما ادعت تلك الاسر بحقها الموروث في  
حكم البلاد التي تريد غاضة النظر عن رغبة اهلها  
في ذلك . لقد جاء رأي كانت الصريح برهانا على  
بطلان الادعاءات الاقطاعية القديمة ، وتأيدا للروح  
الوطنية القومية ، التي تعتبر الاستقلال من أول  
شروطها الاساسية .

٣ - « يجب ان تلغى الجيوش الدائمة على مر  
الزمن »<sup>(٢)</sup> ويفسر كانت ذلك بأن وجود الجيوش  
الدائمة تهديد دائم للسلام العام ، فضلا عن ان  
منح الجندي اجرا لكي يقف حياته على قتل الغير  
مع استهدافه هو نفسه ان يقتل ، معناه معاملته على  
اساس انه « آلة » لا « انسان » .

٤ - ويلتفت كانت بعد ذلك الى أثر الناحية الاقتصادية

---

٢ - كانت : نفس المصدر ص ٢٨

في توليد الاطماع الاستعمارية التي هي سبب رئيسي لاشعال نار الحرب فيقول : « يجب ان لا تعقد قروض ( ديون ) تتضخم تضخما لا يقف عند حد ، •• مثل هذا النظام الذي هو ابتكار عصري بارع لشعب مولع بالتجارة ( الاشارة هنا للطبقة البرجوازية التجارية التي ظهرت في أوروبا على نحو واسع له اهميته آنذاك ) يعد ذريعة لتدخل بعض الدول في شؤون بعضها الآخر ، ويعد كذلك قوة مالية خطيرة وكنزا مدخرا لاشعال الحرب ، يربو على جملة ما تملكه الدول الاخرى مجتمعة ، ولا سبيل الى استنفاده الا بعجز مرتقب في الضرائب » (٣) •

٥ - « يحضر على كل دولة ان تتدخل بالقوة في نظام دولة اخرى او في حكومتها » ، وهذه المادة مشتقة

---

٣ - كانت ، عمانوئيل : مشروع للسلام الدائم ص ٢٩ و ٣٠

مباشرة من اعتبار الامم كالأشخاص لها حرمتها  
ولها وحدها حق التصرف في شؤونها» (٤) •

٦ - « لا يسمح لأي دولة في حرب مع أخرى ان  
ترتكب اعمال عدائية - كالقتل والتسميم ونقض  
شروط التسليم والتحريض على الخيانة - قد  
يكون من شأنها عند عودة السلم ، امتناع الثقة  
المتبادلة بين الدولتين » هنا يريد كانت الحروب بين  
الدول ، حروبا شريفة ، لا خداع فيها ابدا •  
ومعلوم ان هذا منطق متناقض ، فأما ان تكون ثمة  
حرب ، تستخدم فيها الدولة كل ما يصل اليه يدها  
من الوسائل ، واما ان لا تكون حرب بالمرّة ، وليس  
هناك حل وسط في هذا الشأن •

وبعد ان يستعرض كانت هذه الشروط الضرورية  
لاستتباب السلم في نظره ، يأتي الى ذكر الخطوات  
الايجابية لذلك ، معتبرا كيان الدولة الواحدة المفتاح

---

الحقيقي والاساسي للسلم ، بأعتبره اللبنة الاولى في بنيانه .

وهذه الخطوات هي :

١ - « يجب ان يكون الدستور المدني لكل دولة دستورا جمهوريا » بمعنى ان السلطة التشريعية التي تقرر الحرب ، يجب ان تكون صادرة عن ارادة الشعب ، وان تفصل عنها السلطة التنفيذية فصلا تاما ، وهذا النوع من الحكومة انسب الانواع لمبدأ الحرية والمساواة ، وهو ايضا انسبها لاستتباب السلام ، لان نظام الدولة الدستورية يجعل من يتعرضون لمعاناة شرور الحرب هم اولئك الذين يطلب اليهم تقريرها ، في حين ان حاكما مطلقا قد يرى في الحرب ملهاة يتلهى بها ، ويترك مهمة الاهتداء الى اسباب معقولة لتبريرها للهيئة الدبلوماسية « وهي دائما على استعداد لهذه المأمورية » .

٢ - « يجب ان يقوم قانون الشعوب على التحالف بين دول حرة » •

٣ - « حق النزول الاجنبي ، من حيث التشريع العالمي ، مقصور على اكرام مثواه » اي دون ان يكون لدولة ان تتدخل في شؤون دولة اخرى (٥) •

يظهر للمتأمل في مواد هذا المشروع وثناياه، ان كانت استطاع ان يضع يديه لاكثر من مرة ، على مواطن الشر ، وان يحلل اسباب الحرب بقدر ما اوتي من معرفة تاريخية ، ولم يكن هو بمؤرخ كما اعلن هو عن نفسه ، ولهذا فأن لهذا المشروع اهمية خاصة ، واذا ما علمنا ان كانت هو واضع الاصطلاح الالماني الذي اطلق بعد وفاته بنحو قرن وربع قرن على « عصبية الامم » الحديثة ، ادركنا مدى تأثير هذا الفيلسوف الفذ على فكرة السلام العالمي • وقد اكد بعض الكتاب ان

---

٥ - كانت ، عمانوئيل : مشروع للسلام الدائم ص ١٥

الرئيس ويلسن الداعي الى انشاء عصبة الامم كان يحتفظ لقراءاته اليومية بكتاب « مشروع للسلام الدائم » وكانت<sup>(٦)</sup> ، مما يدل على ان لهذا الكتاب الفضل في تنبيه البشر الى مزايا انشاء مثل هذه السلطة العليا ، التي اريد لها ان تكون اساسا لقيام السلام العالمي .

---

٦ - كانت : نفس المصدر ص ٨ ( المقدمة )

## تفسير كانت لفلسفة التاريخ

على الرغم من توغل « كانت » في عدد كبير من علوم عصره ، اضافة الى الفلسفة ، فإنه لم يهتم بدراسة التاريخ دراسة خاصة ، كما يفهم من كلامه ، والظاهر ان دراسته المتصلة عن طبيعة الانسان ، وتعمقه في تحليل ملكاته العقلية ، علاوة على دراسته الشاملة للطبيعة ، جرت الى تأمل التاريخ الانساني من وجهة نظر فلسفية ، وبالنظر الى اهتمامه الخاص بضروب معينة من التفكير شبه الميتافيزيقي ( فيما يتعلق بالاخلاق ) فقد كانت فلسفته التاريخية غير متكاملة ، وذات فجوات كبيرة ، بمعنى ان دراسته للتاريخ لم تهده الى فلسفته ، وانما جرت تأملاته الفلسفية الى محاولة تطبيقها على التاريخ ايضا . ولهذا فإن آثاره في هذا الضرب من التأليف لم تزد على بضعة مقالات متناثرة في المجلات ، اعترف فيها

بصعوبة عمله ، كما اعترف ضمنا بعدم حصوله على معرفة واسعة بالتاريخ تمكنه من تطبيق افكاره الفلسفية في تحليل سائر الوقائع والتطورات الاجتماعية التي مر بها الجنس البشري •

ولعل اهم ما نشر « كانت » في هذا الحقل ، مقالته « فكرة عن التاريخ الكلي ( او العام ) من وجهة نظر عالمية » المنشورة سنة ١٧٨٤ ، وبحثه « افتراضات ضنية حول بداية تاريخ الانسانية » الصادر سنة ١٧٨٦ وتنبؤ خاص عن « نهاية العالم » نشره سنة ١٧٩٤ ، ولاشك ان اهم هذه البحوث على الاطلاق ، مقالته الاولى عن التاريخ الكلي ( او العام ) ، بالرغم من انها لم تزد على ورقتين قصيرتين ، ومقال مطول (\*) •

---

\* اصل هذا المقال في المجلد الثامن من مجموع مؤلفات كانت الالمانية ، برلين ولييستيك سنة ١٩٢٣ عند الناشر فلتردى جرويتير ، وقد قام بنقلها الى العربية الدكتور عبدالرحمن بدوي بأسم « نظرة في التاريخ العام بالمعنى العالمي » والحقها بكتابيه « النقد التاريخي » الصادر بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م ، الصفحات ٢٨١ - ٢٩٨ ، وهي ترجمة كاملة محققة .

ناقش « كانت » ضرورة وجود قوانين للتاريخ  
الانساني ، ثم شرع في تلخيص هذه القوانين على شكل  
تسع نظريات عامة مهمة ، ويمكن ارجاع اهميتها هذه  
الى انها تمكنا من فهم واضح لما ينوي الفلاسفة  
التأمليون القيام به في التاريخ . وتواضع « كانت »  
الطبيعي وشعوره بحدوده ، يجعلانه ذا قيمة كبرى في  
هذا الشأن ، فقد رأى أن أحد لا يستطيع القيام بعمل  
فلسفي مفصل للتاريخ من النوع الذي بذهنه ، بغير  
معرفة واسعة بوقائع تاريخية معينة ، ولما كان لا يستطيع  
الادعاء بحصوله على هذه المعرفة لنفسه ، فقد اقتصر على  
رسم الفكرة ( او كما ذكر بنفسه انه اقتصر على الاهتداء  
الى مفتاح فلسفة التاريخ )<sup>(١)</sup> تاركاً لغيره القيام بتنفيذ هذه  
الفكرة . ولهذا فقد جاءت نظرية خالية من اي تطبيقات ،  
او تجارب تستند اليها .

---

١ - وولش : مدخل لفلسفة التاريخ ص ١٦٥ ( ترجمة  
احمد حمدي محمود ، القاهرة ١٩٦٢ )

ومن ناحية اخرى فأن لعمل كانت قيمة توجيهية ،  
لانه يعبر بطريقة لا تخطيء عن الاسس الاخلاقية لهذا  
النوع من التأمل ، ففلسفة التاريخ عنده عمل متصل  
بالفلسفة الاخلاقية ، ففي الحق ، انه ليس ثمة مايوحي  
بأن « كانت » كان سيعالج التاريخ على الاطلاق لولا  
الاسئلة الاخلاقية التي يبدو انها تثيرها ، اما ماهي هذه  
الاسئلة ، فقد اوضحت بقوة ووضوح - اكثر من مرة  
في المحاولة (٢) .

لقد حاول كانت اولا ان ينفي ان هناك تناقضا  
بين « حرية الارادة » و « القوانين الطبيعية العامة »  
مبينا ان الاتساق قائم بين الطرفين (٣) فالطبيعة في نظره  
كلمة تستعمل في سياق « نظرية المعرفة » ويقصد بها  
الاشياء التي تعرض لنا كمشهد من المشاهد ، لا اكثر،

---

٢ - نفس المرجع والصفحة .

٣ - كانت ، عمانوئيل : نظرة في التاريخ العام بالمعنى  
العالمي ( ملحق النقد التاريخي لعبدالرحمن بدوي )  
ص ٢٨١

وفي الواقع ، تابع كانت مصطلح عصره في اختزال التاريخ الى « طبيعة » ، معتبرا اياه كسائر القوانين الكونية ، كقوانين الجغرافية والمناخ اسوة بموتسكيو ، وقوانين علم الحياة ، اسوة بهردر ، غير انه خطا مع ذلك خطوة هامة في سبيل التخلص من هذا الخطأ ، فقد بحث العقل « بوصفه جوهرًا » ذا كيان مستقل عن الظواهر ، لا على انه من ظواهر الكون المادي بأعتباره لونا من ألوان « الطبيعة » فأستطاع بذلك ان يوفق بين مبدأي « الجهر » ( القانون ) والاختيار ( الحرية ) على اساس ان جوهر العقل هو الحرية بالمعنى الذي وضعه هو نفسه للكلمة<sup>(٤)</sup> في مؤلفاته الفلسفية الاخرى .

ويجيب « كانت » عن مسألة اخرى تتعلق بواجب الفيلسوف وموقفه من الوقائع التاريخية ، في القسم الافتتاحي من مقاله المذكور فيقول : « ان المرء لا يدري ، عند خاتمة المطاف ، ماذا عساه يكون من فكرة عن

نوعنا هذا الذي طالما توهم فيه من مزايا ، وهنا ليس  
امام الفليسوف - مادام لا يستطيع ان يفترض مقدما ان  
هناك بوجه عام ، هدفا « عقليا خاصا » يستهدفه الناس  
في اعمالهم - الا ان يبحث ما اذا كان في وسعه ان  
يكشف « هدفا للطبيعة » وغرضا في ذلك المسلك المنافي  
للعقل مما هو مشاهد في شؤون بني الانسان » ثم يحاول  
بعد ذلك ان يبين بأن قيام محاولة جدية لكشف مثل  
هذا الهدف هو امر ضروري ومحتمل ، فيقول « انا  
لنود ان نرى ما اذا كنا سنصل الى افتقاد دليل الى مثل  
هذا التاريخ ( الهادف ) ، ثم ندع للطبيعة ان توجد ذلك  
الرجل الذي يستطيع ان يصورها وفقا لهذا . انها  
اتت برجل مثل كبلر اخضع المسالك الشاذة للنجوم  
لسلطان قوانين ثابتة على نحو لم يكن في الحسبان ، كما  
جاءت بمثل نيوتن الذي فسر هذه القوانين وفقا لعلل في  
الطبيعة عامة » (٥) .

---

٥ - كانت ، عمانوئيل : نظرة في التاريخ العام بالمعنى  
العالمي ص ٢٨٢

وهكذا يحاول « كانت » ان يبين لنا ان ما يمكن ان نراه في التاريخ من فوضى ومن انحطاط احيانا ليس الا بمجموعه العام ، وعلى المدى الزمني الطويل ، سوى حلقات من سلسلة التطورات البشرية التاريخية التي تسير حتما نحو التقدم ، ان تاريخ البشر يتطور بالتأكد نحو الاحسن ، وان لم نشعر نحن بذلك بسبب من وضعنا النسبي المحدود من حيث الزمان والمكان ، كما ان هذا التطور توجهه قوانين ثابتة ، كالتى كشف عنها كبلر في علم الطبيعة •

واذا ما تساءل المرء عن سبب حتمية وجود مثل هذه القوانين ، الساعية نحو التقدم في حين ان البراهين المعطاة غير كافية ، او غير واضحة في كثير من الاحيان ، يجب كانت على ذلك بأننا يجب ان نقبل هذه القوانين ما دمنا نسعى الى ايجاد مجتمع يسوده القانون الاخلاقي الكامن في عقلنا المجرد الخالص ، والا فأن أحدا لا يستطيع تجنب شعور معين بالامتعاض ، عندما يلاحظ افعال الناس التي تعرض على المسرح الكبير للعالم ،

فالافراد يظهرون الحكمة هنا وهناك ، ولكن نسيج التاريخ الانساني ككل يبدو انه منسوج من الحماسة والتفاهة ، وغالبا من الاتام الطفيلية وحب الدمار ، ونتيجة ذلك انا في النهاية حائرون في معرفة ماهي الفكرة التي نصوغها عن نوعنا ، الذي نشعر بفخر عظيم بـ «ميزاته» (٦) .

وعلى هذا ، فأدلة كانت وبراهينه وبراهينه التي يقدمها كلها غائية (٧) تماما ، وذلك واضح في نظرياته التسع التي يتشكل منها مقاله ، ففي النظرية الاولى يقرر ان « كل الاستعدادات الطبيعية لكائن ما قد هيئت على نحو من شأنه ان تتحقق كاملة ذات يوم وفقا للغرض المنشود » وبرهان هذا انه « اذا صرفنا النظر عن هذا المبدأ ، فلن نكون بعد بأزاء طبيعة تسير بنظام ، بل امام

---

٦ - وولش : مدخل لفلسفة التاريخ ص ١٦٦ وكانت :  
نظرة الى التاريخ العام ص ٢٨٢

٧ - التقدير الغائي للكون المادي ، معناه ان الكون وخلقته يستهدفان غاية معينة

طبيعة عابثة ليس لها غاية ، وهنالك يخلي العقل الهادي مكانه للصدفة الداعية الى اليأس والقنوط «<sup>(٨)</sup> .

وفي النظرية الثانية ، يؤكد كانت ان هذا التقدم لا يمكن أن يظهر واضحا على الافراد ، وانما على النوع الانساني بأسره ، وان الانسان بطبعه مزود بالاستعدادات الهادفة الى استخدام العقل « بيد انه لا يسلك سبيل الغريزة ، يحتاج الى القيام بالمحاولات والممارسة والتهذيب كيما يتقدم تدريجيا من مرتبة في النظر الى اخرى تعلوها »<sup>(٩)</sup> وهكذا يجعل للعقل الحر درجة اعلى من الغريزة مقررا ، كما في النظرية الثالثة ، ان الطبيعة ( او العناية الالهية - فكلا اللفظين يدلان عنده على معنى واحد ) لاتفعل شيئا عبثا وليست مبذرة في استخدام الوسائل المؤدية الى تحقيق غاياتها ، فإذا كانت قد اعطت الانسان العقل ، وما يقوم عليه من حرية

---

٨ - كانت : نظرة الى التاريخ العام بالمعنى العالمي ص ٢٨٣

٩ - كانت : المقالة ذاتها ص ٢٨٣

الارادة ، فذلك دليل واضح على غرضها من تدبيرها ،  
اعني انه يجب الا ينقاد بواسطة الغريزة او ان يهذب ،  
وتهيأ اموره عن طريق المعرفة الفطرية ، بل عليه بالاحرى  
ان يصدر في كل شيء عن نفسه ( اي عن ارادته العقلية  
الحرّة ) (١٠) .

ومع ان « كانت » يقر ، في النظرية الرابعة ،  
« وجود استعدادات اجتماعية لدى البشر ، فأنه يركز  
اهتمامه بتلك الاستعدادات غير الاجتماعية ، التي تجعل  
في الانسان رغبة في مقاومة الآخرين » لان هذه المقاومة  
هي التي توقظ كل قوى الانسان ، فتحمله على قهر  
ميله الى البطالة ، وعلى ان يحقق لنفسه - مدفوعا  
بالطموح والنزعة الى التملك والسلطان - مكانة بين  
اخوانه الذين لعله لا يحتملهم ، ولكنه لا يستطيع مع  
ذلك ان يفترق عنهم ، هنالك تبدأ الخطوات الاولى  
الحقيقية التي تنقل الانسانية من البداوة والسذاجة الى

---

١٠ - كانت : نظرة الى التاريخ العام بالمعنى العالمي  
ص ٢٨٤

الحضارة .. فالحمد للطبيعة اذا على الشقاق الاجتماعي،  
والعبث المتسابق المتحاسد والطمع النهم في التملك  
والسلطان ! فلولاها لبقيت كل الاستعدادات الطبيعية  
في الانسان راقدة لم تظهر بحظها من النماء» (١١) .

وهكذا ، ففي الوقت الذي نسمع فيه آدم سمث  
ينادي بأن اعمال الافراد تؤدي في مجموعها وفي هدفها  
الاخير الى خدمة المصلحة العامة للجماعة ، يشرح كانت  
هذه الفكرة نفسها بطريقة ميتافيزيقية ، وينتهي بها الى  
النتائج نفسها التي انتهى اليها سمث (١٢) ويسفر  
« كانت » عن آرائه في ضرورة التنافس الدائم على  
التملك والسلطان « لخدمة المصلحة العامة » حينما يبين  
في النظرية الخامسة ان « المشكلة الكبرى للنوع  
الانساني ، والتي ارغمتها الطبيعة على ان يجد لها حلا،

---

١١- كانت : نفس المقالة ص ٢٨٥ - ٢٨٦

١٢- جاستون بوتول : تاريخ علم الاجتماع ص ٤٠ - ٤١  
( ترجمة محمد عاطف غيث وعباس الشربيني  
- القاهرة ١٩٦٤ )

هي الوصول الى تكوين مجتمع مدني ( برجوازي ) يحكمه قانون عام » هذا المجتمع البورجوازي هو ما يراه كانت « اجمل نظام اجتماعي » ، حيث انه يحوج نفسه بنفسه الى التذيب « وبالتالي تنمو بذور الطبيعة عن طريق الصناعة المبدعة تنمية كاملة » (١٣) .

ويعترف « كانت » في النظريتين السادسة والسابعة بصعوبة ايجاد سلطة عليا توفق بين مبدأ التافس و( اللااجتماعية ) ، وبين ضرورة الخضوع للقوانين ، وتنفيذ العدالة اللازمة للسيول ( الاجتماعية ) بل يكاد ان يعتبره مستحيلا ، ومع هذا فإنه يتفائل كعادته بشأن امكان قيام سلام دائم بين الشعوب عن طريق انشاء هيئة عليا فوق الدول تساعد على « ان ترتفع من حالة الفوضى القانونية والوحشية الى اتحاد بين الشعوب ، حيث تستطيع كل منهما من اكبرها حتى اصغرها ان تؤمل في سلامتها ونيل حقوقها عن طريق هذا الاتحاد

---

١٢- كانت : نظرة للتاريخ العام بالمعنى العالمي ص ٢٨٧

الكبير بينها - وعن طريق قوة متحدة وقرار يصدر  
وفقا لقوانين المشيئة المتحدة لكل الشعوب» (١٤) ويبلغ  
التفاؤل بكانت الى حد اعتبار الحروب الطاحنة التي  
كانت تخوضها الدول الاوربية ، محاولات للوصول الى  
مثل هذا النظام المثالي فيقول « ما الحروب الا محاولات  
متعددة ( ولو لم يكن هذا في قصد الانسان انما في  
قصد الطبيعة ) من اجل ايجاد احوال للدول جديدة ،  
وتكوين هيئات جديدة بالقضاء ، او على الاقل بتمزيق  
اوصال القديمة ، وهذه الجديدة اما انها لاتستطيع ان  
تحتفظ بنفسها في داخل ذاتها ، او بعضها الى جوار بعض  
ما يؤدي الى مرورها بمحنة ثورات مشابهة جديدة ،  
وتستمر الحال على هذا الى ان نصل - عن طريق خير  
تنظيم للدستور المدني من الناحية الداخلية ثم عن طريق  
الاتفاق العام والتقيد من الناحية الخارجية - الى حال  
تشبه حال الكائن المدني العام ، حال يمكن ان تحافظ  
على نفسها كأنها كائن يتحرك بنفسه» (١٥) .

---

١٤- كانت : نفس المقالة ص ٢٩٠

١٥- كانت : نظرة الى التاريخ العام بالمعنى الكلي ص ٢٩٠

وعلى هذا ، فإن تنبؤ كانت حول ضرورة وحتمية المجتمع البرجوازي ، والظروف المؤدية اليه ، تشبه الى حد كبير تنبؤات الفلاسفة الاشتراكيين حول ضرورة وحتمية المجتمع الاشتراكي ، وحول الظروف التي ستقود اليه نتيجة الحروب والمنازعات المتصلة التي سيقود اليها استغلال الدول الرأسمالية السائدة لبعضها . وكما اعتبر « كانت » ان النظام الاقطاعي الذي كان لا يزال قائما في دول عصره سيمزق نفسه نتيجة لطبيعته القديمة ، اعتبر هؤلاء الفلاسفة ان طبيعة المجتمع البرجوازي ستعمل على تمزيق هذا المجتمع بنفسها . يؤكد صحة هذه النظرة ان « كانت » وضع - كأسلوب للتبدل الاجتماعي المنشود - تأكيدا قويا على « نوع من التظافر الايقوري للعلل الفاعلية » ، وهو ما عرف فيما بعد بأسم « الديالكتيك »<sup>(١٦)</sup> حيث يذكر ان من شأن هذا القانون ان يجعل الدول تحاول « مثلها

---

١٦- الديالكتيك : اصطلاح استعمله هيغل ، وهو مشتق من الكلمة اليونانية « ديباليكو »

مثل ذرات المادة في اصطدامها حسبما اتفق ، ان تكون كل انواع المؤسسات التي تحطمها مصادمات جديدة حتى تصل الى تكوين مؤسسة يمكن ان تبقى بصورتها»<sup>(١٧)</sup> وليس هذا الصدام المتسلسل الا « الدايكتيك » بشكله المادي ، عينه •

وفي النظرية الثامنة يعيد « كانت » تأكيداً على ان تاريخ النوع الانساني في مجموعه هو « تحقيق مستور للطبيعة من اجل ايجاد دستور للدولة كامل داخليا ، ولجل هذا الغرض خارجيا ايضا ، بوصفه الوضع الوحيد الذي تستطيع الطبيعة فيه ان تنمي كل استعداداتها في الانسانية تمام التنمية »<sup>(١٨)</sup> ولا حاجة للقول بأن في هذا ، اشارة للنظام البورجوازي نفسه •

اما النظرية التاسعة والاخيرة ، فيبين فيها « ضرورة قيام » محاولة فلسفية لتصوير التاريخ العام على اساس تصميم للطبيعة يهدف الى الاتحاد المدني الكامل في

---

١٧- كانت : نظرة الى التاريخ ص ٢٩١

١٨- كانت : نفس المقالة ص ٢٩٣

النوع الانساني - نقول انه يجب ان نعد هذه المحاولة  
ممكنة ، بل ومفيدة بالنسبة الى غرض الطبيعة  
هذا « (١٩) .

وخوفا من ان يعتقد احد بأن كانت يحاول بهذه  
الافكار ان يوجد له دليلا قليا من شأنه ان يحرف  
النظر « عن ايجاد التاريخ بالمعنى المحدود ، وهو القائم  
على اساس تجريبي » يعترف « كانت » في الفقرة الاخيرة  
من مقاله ، بكل تواضع ، بأن ليست محاولته هذه الا  
« فكرة عما عسى ان يحاوله عقل فلسفي ( يجب ايضا  
ان يكون موفور العلم بالتاريخ جدا ) من وجهة نظر  
اخرى » (٢٠) .

انه لا ينكر ان اغلب براهينه قبلية ، اي غير مستمدة  
من التجارب المادية وعذره في ذلك ان العصر الذي لدينا  
سجلات تاريخية عنه قصير جدا ، لا يكفي لاكتشاف اي

---

١٩- كانت : نظرة الى التاريخ العام بالمعنى العالمي  
ص ٢٩٥

٢٠- كانت : نفس المقالة ص ٢٩٧

شيء عام ، فالمشروع الذي قدمه ليس طريقا مختصرا  
لاكتشاف الوقائع التاريخية بل هو وسيلة للنظر الى  
الحقائق بعد اكتشافها (٢١) .

واخيرا ، يمكن تلخيص « فكرة كانت » في النقاط  
الاربع التالية :

١ - فكرة تاريخ للعالم ، مثل اعلى عملي ، ولكنه  
يتطلب الجمع بين التفكيرين التاريخي والفلسفي :  
يجب ان تفهم الحقائق ثم تروى . ويجب ان  
تدرس الحقائق كحقائق موضوعية بحيث يتمثلها  
التفكير لا من وجهة النظر « الذاتية » او  
الخارجية فقط .

٢ - ويفترض هذا التاريخ وجود خطة سابقة  
للحوادث ، ومعنى ذلك ان ثمة « تقدما » ملحوظا  
او شيئا يتبلور شيئا وتباعاً ، يريد ان يخرج الى  
حيز الوجود .

---

٢١- وولش : مدخل لفلسفة التاريخ ص ١٦٧

٣ - وهذا الذي يريد ان يخرج الى حيز الوجود  
المادي ، هو نضوج العقلية الانسانية ، اي العقل  
والحرية الاخلاقية .

٤ - والوسيلة التي تنتهي الى تحقيق سيطرة العقل  
على هذه الصورة ، هي الطيش الانساني ،  
والمنافسة على السلطان والتملك باعتبار ذلك من  
الاستعدادات غير الاجتماعية التي تبعث على  
تطوير المؤسسات الاجتماعية وتقاوم الكسل  
والجمود (٢٢) .

ولا يخفى ، ان وراء هذه النتائج التي توصل اليها  
شيئاً من التناقض ، وخاصة فيما يتعلق بالنتيجة الاخيرة ،  
لان التأكيد على المنافسة ، والطيش الاجتماعي يتعارض  
- فيما اعلم - مع المبدأ الاساسي الذي بنى عليه  
كانت فلسفته الاخلاقية حيث رأى بأن على الانسان  
ان يطبق الواجب الخلقي حتى ولو اضر بمصالحه

---

٢٢ - كولنجوود : فكرة التاريخ ص ١٩٣

الخاصة ، لان الواجب شيء اعظم واسمى من القيم  
الخيرية والشرية التي يتعارف عليها البشر في حياتهم  
الاجتماعية .

اما سائر النقاط الاخرى ، فقد تولى نقدها عدة  
مفكرين ، منهم ر.ج. كولنجوود<sup>(٢٣)</sup> ، و.و.هـ  
وولش<sup>(٢٤)</sup> ، نقدا وافيا شاملا .

---

٢٣- فكرة التاريخ ص ١٩٣ - ١٩٥

٢٤- مدخل لفلسفة التاريخ ص ١٧١ - ١٧٦

## فلسفة هردر وعلاقتها بآراء كانت

لا يمكن للمرء ، وهو يبحث في الفكر الكاتي المتشعب ، وخاصة فيما يتعلق بآرائه في التفسير الفلسفي للتاريخ ، الا ان يأتي الى تناول العلاقة الفكرية بينه وبين مفكر الماني آخر عاصره ، ونقده ، كما اخذ عنه ، هو الناقد ، والفيلسوف ، والواعظ هردر ( ١٧٤٤ - ١٨٠٣ م ) . وفي الواقع ان هذه العلاقة الفلسفية في غاية العمق والتشابك ، حتى لقد اختلف عدة باحثين في تعيين من تتلمذ منهما على الاخر ، واتمى اليه بفكره .

ولد هيردر في مورونكن من بروسيا الشرقية لابوين فقيرين ، بعد عشرين سنة من ميلاد كانت ، ودرس اللاهوت والفلسفة في كينسبرك من ١٧٦٢ الى ١٧٦٤ م ، متكسبا خلال هذه الفترة من التدريس في

كلية فردريك بهذه المدينة ، وقد استمع في الجامعة الى محاضرات عمانوئيل كانت ، فأخذ عنه شغفه بالجغرافية والعلوم الانسانية<sup>(١)</sup> .

وفي عام ١٧٦٤ انتقل الى « ريجا » حيث عمل هناك مساعدا لاستاذ في مدرسة الكاتدرائية وظل في المدينة الى عام ١٧٦٩ ، وكان اول اعماله الكبيرة هو « في الادب الالمانى الجديد » الذي نشر سنة ١٧٦٧ ووضع في مركز رفيع بين كبار نقاد الادب .

وبعد ان اشتد الجدل بين هردير وكاتب اسمه كلوتس ، قرر الاول ترك ريجا ، وفعلا قام بعدة سياحات مهمة في حياته وافكاره ، فزار نانت ، وباريس ، وهامبرك ، حيث تعرف بالعديد من رجال الفكر ، وعمل مرافقا ومعلما لاحد النبلاء ، ثم تزوج بعد حب عنيف<sup>(٢)</sup> .

---

١ - بوتول : جاستون : تاريخ علم الاجتماع ص ٥٢ -

٢ - د. مصطفى ماهر : الاغانى الشعبية ليوهان جوتفريد هردير ( تراث الانسانية ٣ : ٣٠٧ )

وفي عام ١٧٧٦ وصل هيردر الى فايمار حيث  
استقبله جوته ، ونشر عدة مؤلفات مهمة على رأسها  
كتابه « فلسفة تاريخ الانسانية » الذي جمع فيه آراءه  
السياسية والاجتماعية كما انه نشر عدة مجاميع لاهوتية  
اثارت جدلا طويلا ، باعتبارها مفاجئة وفكرة غير متوقعة  
من رجل في عصر الاستنارة<sup>(٣)</sup> .

واخيرا ، توفي هردر في فايمار سنة ١٨٠٣ ، اي قبل  
سنة واحدة من وفاة كانت . والان ، وبعد ان إستعرضت  
بأيجاز بالغ سيرة هذا الرجل ، الفذة الثرة ، لا بد لي من  
استعراض آخر لاهم آرائه في الفلسفة والاجتماع ،  
وخاصة ما يتعلق منها بفلسفة التاريخ ، كيما نستطيع ،  
فيما بعد ، من ملاحظة مدى التأثير المتبادل بينه وبين  
استاذة كانت .

يرى هردر ، في مؤلفه التاريخي الفلسفي آتف  
الذكر والبالغ اربعة مجلدات ، ان الانسانية مرتبطة

---

Coppleston, A. History of Philosophy Vol ٣ —  
VIp144

ارتباطا شديدا بمكاتها التي احتلتها من الكون المادي ، والطابع العام الذي تميز به هذا الكون هو طابع الكائن الحي الذي وضع تصميمه بصورة تمكنه من خلق كائنات عليا ، تنمو وتتطور في داخله ، وبهذا ينطلق هرذر لبيان لنا علاقة الطبيعة البشرية بالنظام الكوني<sup>(٤)</sup> ، على اعتبار انه اذا اردنا ان نفهم التاريخ الانساني فيجب ان نفهم اولا مكان الانسان في الكون ، وان ننظر للموضوع نظرة جدية .

اعتبر هرذر ان للبشر خصائص انسانية معينة ، متأثرا بالحقيقة القاضية بأن هناك سلاسل مستمرة من التدرج من ايسر الصور الخاصة بالمادة غير العضوية الى اعلى صورها وهو الانسان باعتباره اكثر صور الحياة الحيوانية تركيبا ، وفسر هذا الفرض بأن هناك قوة واحدة منظمة ، او مجموعة موحدة من القوى المنظمة تحل في هذا العالم ، وتعمل على الانبعاث الحر للروح .

---

٤ - كولنجوود ر.ج : فكرة التاريخ ص ١٧٠

والانسان هو اعلى انتاج لهذه القوى الخاصة بالحياة على الارض ، وكل شيء غير ذلك موجود لخدمة تقدمه ، ولكن من الخطأ الظن انه هو المخلوق الروحي في العالم ، وانما كل شيء يقف في منتصف الطريق بين عالمين ، عالم الكائنات الحيوانية التي هو اعلاها شأنًا ، وعالم الكائنات الروحية التي هو ادنى عضو فيها<sup>(٥)</sup> ويرى هرذر ، ان الانسان بوصفه كائنا طبيعيًا ينقسم الى الاجناس البشرية المختلفة ، وكل جنس منها مرتبط ارتباطًا وثيقًا ببيئته الجغرافية ، وله رصيده الاعلى من الخصائص المادية والعقلية التي تشكلها البيئة ، ولكن كل جنس بشري متى تبلور في صورة محدودة ، اصبح يمثل نوعًا معينًا من انواع الانسان ، توفرت له الخصائص الدائمة التي لا تعتمد على علاقته المباشرة بالبيئة ، ولكن على الخصائص المتوارثة في تكوينه ، من اجل ذلك نجد ان قوى الاحساس والتخيل عند الاجناس البشرية المختلفة ، تختلف عن بعضها البعض اختلافًا

---

٥ - وولش : مدخل لفلسفة التاريخ ص ١٧٨ - ١٧٩

جوهرها ، لكل جنس فكرته الخاصة به في السعادة،  
ومثله الاعلى في الحياة ، ولكن هذه البشرية التي اختلفت  
من حيث الجنس ، تصبح مرة اخرى مهذا ، أو تربة  
لنشأة كائن انساني حي من النوع السامي ، ونقصد به  
الكائن الحي في مراحل تطوره التاريخية ، وبتعبير آخر  
جنس بشري لن تكون حياته وضعاً ثابتاً لا يتغير ، وانما  
تكون مراحل تطورية ، كل مرحلة منها تدنيه الى  
الكمال<sup>(٦)</sup> .

وعلى هذا الاساس ، ايد هرذر فكرة ان لكل  
شعب نوعاً من الروح تفرض على افراده طريقة في  
التفكير وفي الشعور غير قابلة للمشاركة مع اي شعب  
آخر ، وهي الفكرة التي عززها كانت براهينه الخلقية،  
وعبر عنها هيكل بأسم الروح الشعبية . ولمعرفة الروح  
الالمانية ، انغمس هرذر في دراسة الثقافة القومية الالمانية  
من بدايتها البربرية . ودرس اصل لغتها وحضارتها  
القديمة الى تاريخها ونظمها في العصور الوسطى ، كما

---

٦ - كولنجوود : فكرة التاريخ ص ١٧١ - ١٧٢

درس فنونها الشعبية التقليدية وآثارها ، وكان هدفه خلق صورة جديدة للمجتمع الالماني تكون مسؤولة عن وحدة نموها القومي الخاص بها<sup>(٧)</sup> .

يقول « اليس الخير موزعا على العالم بأسره ؟ وذلك حتى لا يستأثر عنصر انساني او بقعة واحدة من الارض بكل شيء ، لقد قسم الخير ، وتحول الى الوف الاشكال وتوزع في جميع بقاع العالم ، وفي كل عصر من عصور الزمان ، ومع هذا فما زالت تلوح في الافق خطط جديدة للتقدم - هذه هي رسالتي الفكرية العظمى ! »<sup>(٨)</sup> .

وفي الواقع ، كان تأثير هردر على المدرسة الرومانتيكية بكاملها في المانيا - وخاصة على شلنغ

---

٧ - بوتول ، جاستون : تاريخ علم الاجتماع ص ٥٥ والاغاني الشعبية لهردر ( تراث الانسانية ج ٣ ص ٣١٩ )

٨ - ارنست كاسير : في المعرفة التاريخية ص ١٠ - ١١ ( ترجمة احمد حمدي محمود . القاهرة )

وهيغل ، كبيراً جداً • فقد جعلوا من الفكرة القائلة بأن الحضارة كانت تطورا بطيئا من بداية صغيرة ، مبدأ يعتنقه جميع المثقفين من الناس • ونشأ تحت تأثير كوندورسيه الثائر في فرنسا والهيكلين المحافظين في ألمانيا ، سلسلة طويلة من المؤرخين همهم تقصي قوانين التقدم والتطور الاجتماعيين ومراحله<sup>(٩)</sup> •

كان هردر يمثل بحق عصرا معينا ، يختلف عن عصر كانت بعدة أمور ، كما كان الاختلاف بين الرجلين يمتد الى طباعهما ايضا ، فقد كان نصيب هردر من الحساسية اكثر من نصيبه في المقدرة الذهنية الجافة ، وقد جرى في دمائه حب التأثير العاطفي والتأمل ، بينما كان كانت هادئا ، انتقادي الطبع ، حذرا في تأملاته ، ويشك في كل صور الغيبية ، لم يتأثر بالرومانتيكية الا قليلا جدا<sup>(١٠)</sup> •

---

٩ - راندال ، جون هرمان : تكوين العقل الحديث ج ٢  
ص ١١٧ - ١١٨

١٠ - كولنجوود : فكرة التاريخ ص ١٧٦

لهذا فقد كان الاختلاف الفكري بين الرجلين امرا متوقعا ، بالرغم من ان كانت كان استاذا لهردر لفترة من الزمن . وفي الحقيقة ، كان لهردر اثر كبير على فلسفة كانت ، اذ لما نشر هردر المجلد الاول من كتابه سنة ١٧٨٤ ، سارع كانت الى قراءته ، ومع انه انتقده نقدا لاذعا في السنة التالية ، الا ان الكتاب حفزه الى التفكير في المشكلات التي اثارها ، مما دفعه الى كتابة بحثه الاول عن فلسفة التاريخ مسميا اياه « فكرة عن تاريخ العالم من وجهة النظر الكلية ( او الشاملة او العالمية ) » (١١) .

ومن هنا تشابهت الفلسفتان في الجوهر ، واختلفتا في معظم الفروع ، ففي الوقت الذي مال فيه كانت الى القوانين الاخلاقية ، وقيمها القبلية شبه الميتافيزيقا ، ذهب هردر الى العناية بالقيم الشعبية ، واستجلاء ملامح الشخصية الالمانية . وعلى اية حال يمكن القول ، ان كلا الفيلسوفين قد توصلا - بالرغم

---

١١- وولش : مدخل لفلسفة التاريخ ص ١٧٧

من اختلاف مسلكيهما - الى نتيجة واحدة ، كان لها  
ابلق الاثر في تكوين الايدلوجية الالمانية القومية ، الا  
وهي ضرورة الاهتمام بالواجبات الخلقية ، وتقوية روح  
وارادة الفرد الالمانى وتهيئته لخدمة الامة الالمانية .

وفي الواقع ، كان النقاش المثير الذي دار بين  
الرجلين ، مصدرا لآراء كثيرين من المثقفين الالمان ،  
وغيرهم من الاوربيين . فقد ازدرى هرذر التعارض بين  
ما هو قبلي وبين ما هو تجريبي ، او بين الصورة  
والمضمون مع جميع النتائج التي استخلصها كانت ومنها  
قدرة العقل الانساني على تحصيل المعرفة . وشعر بحكم  
الفطرة بالميل الى الحدس ، الذي وضع ثقته فيه ، ولم  
يشعر بميل نحو التعقل البرهاني ، مما اظهر آراءه لاتفق  
احيانا مع المناهج العلمية ، وان بدت في احيان اخرى  
ذكية موحية (١٢) .

---

١٢- وولش : مدخل لفلسفة التاريخ ص ١٧٧ والاغاني  
الشعبية لهرذر ، للدكتور مصطفى ماهر في ( تراث  
الانسانية ج ٣ ص ٣١٩ ) وفيه قائمة بمؤلفات هرذر  
كافة .

انتقد هردير تأليف استاذة « نقد العقل المجرد »  
سنة ١٧٩٩م نقدا لاذعا ووصفه فيه بأنه نوع من  
الشعوذة ، وان كان قد ضمن نقده اختبارات مدركة  
للنظريات التي جاء بها كانت<sup>(١٣)</sup> وخاصة فيما يتعلق  
بالرياضيات ، اما ما يخص « الفراغ » و « الزمن » فقد  
نبذه هردير تماما .

وفي عام ١٨٠٠ عاود هردير هجومه على استاذة ،  
فنقد عليه مؤلفه « نقد ملكة الحكم » زاعما ان كانت  
لم يفهم بعد علم الجمال<sup>(١٤)</sup> .

ولم ينته هذا النزاع الفلسفي الا بوفاة صاحبيه ،  
فقد توفي هردير في فايمار بعد اصدار نقده الاخير بثلاث  
سنوات فقط ، اي في سنة ١٨٠٣م ، وقبل سنة واحدة  
من وفاة كانت .

---

—١٣

Copleston, A. History of Philosophy Vol

VI p145 Copleston Vol VI p145-146

—١٤

## تأثير كانت على الفلسفة الاوربية

من الطبيعي ان فلسفة معقدة عميقة الاسس كفلسفة كانت ، لا يمكن تمضي في ركب تاريخ الفكر الانساني دون ان تترك أثارا واضحة ، وبصمات بينة ، على رجال الفكر ، من فلاسفة وادباء وعلماء طبيعيين ، ورجال رياضة ، ومربين وغيرهم ، سواء الذين عاصروا كانت نفسه ، ام الذين تدارسوا آثاره من بعده .

والواقع ان معظم هذا الصرح الفكري العظيم الذي اقامه كانت لم يزال قائما ، وان الفلسفة النقدية تمثل حدثا ذا اهمية دائمة ، حتى وان اهتزت تفاصيل هذا البناء واستحكاماته الخارجية<sup>(١)</sup> .

---

١ - ديورانت : قصة الفلسفة من سقراط الى جون ديوي ص ١٨٩

ففيما يتعلق بالرياضيات ، اعتنق هلبرت والمدرسة  
الصورية من ناحية ، وبرونر والحدسيون من ناحية  
اخرى ، رأى كانت القائل بأن الرياضة تتألف من قضايا  
تركيبية قبلية تصف المكان والزمان والبناءات التي تقوم  
فيها ، وان هلبرت - اضافة الى ذلك - ليعد اللامتناهي  
الفعلي فكرة كاتية<sup>(٢)</sup> .

وقد ارتكزت مناهج الفكر التي وضعها فيخته ،  
وشلنغ وهيغل وشوبنهاور على مثالية كانت بشكل  
رئيس ، حيث مهد نقد كانت للعقل ، وتمجيده للشعور ،  
الطريق امام مذهب الارادة لشوبنهاور ونيتشه ،  
والمذهب الذوقي لبرغسون ، والمذهب الذرائعي لوليم  
جيمس<sup>(٣)</sup> ، كما ارتضى كثير من فلاسفة الاخلاق في  
المدارس المختلفة تفرقة المشهورة بين العقل المجرد ،  
والعقل العلمي<sup>(٤)</sup> .

---

٢ - الموسوعة الفلسفية ص ٢٥٥

٣ - قصة الفلسفة ص ٤٩٧

٤ - الموسوعة الفلسفية ص ٢٥٥

ويمكن القول بأن يرايين كانت عن النقائص التي تنشأ حيث تؤخذ « الصور » على انها مميزة للواقع الموضوعي ، مصدر من مصادر نظرية هيغل القائلة بأن الواقع مناقض لذاته ، وان المناقضات ترتفع بأعادة « الصورة » تركيبا دياكتيكيا ( جدليا )<sup>(٥)</sup> .

اما فيما يختص بفلسفة كانت عن « المعرفة » ، وهي الفلسفة القائلة بأن هناك عالما من الحقائق النسبية التي تتغير بفعل تغير الزمان والمكان ، فقد حافظ عليها انصار المذهب المضاد للظاهرية ، واعتنقها الفيلسوف الرياضي « آينشتاين » بصورة جوهرية<sup>(٦)</sup> حيث استمد منها نظريته المشهورة المعروفة بـ « النسبية » واصبحت فيما بعد مصدرا متجددا لفلسفات متطورة اخرى .

اضافة الى ما تقدم ، فقد كان للفلسفة الكانتية وخاصة نقد الحكم - تأثير ملحوظ على ظهور الفلسفة

---

٥ - الموسوعة الفلسفية ص ٢٥٥

٦ - الموسوعة الفلسفية ص ٢٥٥ وقصة الفلسفة ص ٢٦٧

المثالية الالمانية ، وخاصة عند نيتشه واتباعه الذين  
اختلفوا عن كانت في انهم كانوا ينظرون الى الذات لا  
على انها تدرك العالم فحسب ، بل على انها تخلق  
بصورة ما (٧) .

اما في صدد فلسفة التاريخ لدى كانت ، فقد اثرت  
طريقته في الفلسفة على عدة مفكرين ممن عاصروه ، او  
جاءوا بعده ، فظهر صداها لدى هيغل ، على وجه خاص ،  
وكان لها اثر هام في آراء الفلسفة الالمانية التي حمل  
رايتها « هيردر » على ما تطرقنا اليه من قبل .

## فهرست

مقدمة

سيرته الشخصية

آراؤه في ما وراء الطبيعة (( الميتافيزياء ))

آراؤه في الدين

آراؤه في الاخلاق

آراؤه في الطبيعة (( الفيزياء ))

آراؤه السياسية

آراؤه في القومية

آراؤه في السلام العالمي

تفسيره للتاريخ

فلسفة هرذر وعلاقتها بأراء كانت

تأثير كانت على الفلسفة الاوربية



رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد  
( ٣٣٧ ) لسنة ١٩٨٦



دار الحرية للطباعة - بغداد  
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م





١٩٨٦

# الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول  
مختلف العلوم والفنون والآداب  
تصدرها دائرة الشؤون الثقافية والنشر  
بمقداد / شارع الخلفاء

رئيس التحرير : موسى كربدي  
سكرتير التحرير : ماجد أسد

الكتاب القادم :  
تغذية  
الأطفال

تأليف  
د. لؤي النوري